المشرق

الدين وقوام الأُلفة الاجتماعيَّة

بقلم حضرة الاب ا . س . سرموجي الدومنيكي
من اساتذة المعهد الكتابي والاثري الفرنسي في القدس الشريف

الأُلفة الاجتماعية بمثابة جسم عظيم . فكما ان الجسم تتضامّ فيه الاعضاء ، متكاتفة ، مشتركة في اداء الاعمال اللازمة ، لقوام الحياة ، فعلى هذا النسق ترى افراد الالفة مجتمعين ، متآزرين في القيام باعباء ما تتطلَّبهُ حياة الاجتماع . وكما ان في البدن عضوًا مهمًّا هو مركز القوى ، والقائم بادارة جميع الاعضاء ، ففي الالفة ايضاً نجد قوَّة مركزية هي بمنزلة الراس من جسم المجتمع ، الا وهي السلطة التي من شأنها اصدار الشرائع المقصود منها الخير العام . وهذا امر طبيعي بديهي ؛ اذ غير بعيد عن فكر نبيه انَّ هذه السلطة لم تنشأ ، في كل زمان ومكان ، الا بقوة طبيعة الاشياء . ولذا فالسلطة ضرورية ، لانهُ بدونها لا ينجم الّا الخراب ، وليد تنازع الافراد ، وتنافرها ، وتفرّقها .

هذا ، وما من مراقب سرّح رائد الطرف في فضاء المجتمع الانساني ، ألّا لاحظ في افراده تبايناً في القدرة ، وتراجحاً في المنزلة ؛ وهي حالة ملازمة الانسان ، دون انفكاك ، منذ نشأته نشأةً اجتماعيَّة . الّا ان تلك الحالة ، مع ما فيها من الخواصّ الطبيعية ، لا تروق في عيون من يدَّعون الإصلاح في هذا العصر ، ويرون لزوم قلب الاحوال من اهم الفعال ، واستئصال كل قديم ، وان كان نجتمع الكمال ؛ لظنّهم ان الالفة سائرة على

غير ما يُرام ، وان قِوامها الطبيعي في التوازن العام ، بين سائر الافراد ، وفي مطلق الاحوال ؛ وان التراجح الشاهد الآن ان هو الّا نتيجة النظام القديم ، المتحتم تقويضه ، لاعادة الالفة الى الحالة الملائمة لطبيعتها.

أما الدين القويم ، فالواضح لديه ، وضوح الشمس في رائعة النهار ، هو ان بين البشر تشابهاً وتعادلاً بالطبيعة . واما في حياة الاجتماع ، فقد كان ولا يزال بينهم تباينات جاءت وفق النواميس الطبيعية ، وبمقتضى الاحوال الانسانية. ولذا فما يجدر بنا اثباته في ذا المقال ، استناداً الى مبادئ الدين ، المعززة باحكام العقل والاختبار ، هو هاتان القضيتان وهما : الألفة قائمة على التوازُن في المقامات والحقوق الطبيعية . والالفة قائمة على التراجُح في المقامات والحقوق الشخصية :

١

الالفة قائمة على التوازن في المقامات والحقوق الطبيعية

مما لا مِرية فيه ان لكل خليقة طبيعةً ، ولكل طبيعة مقاماً ، ولكل مقام حقوقاً . فاذا اختلفت الخليقة عن غيرها ، اختلفت طبيعتها ، ومقامها ، وحقوقها . وبالعكس اذا توحدت الخليقة ، توحد بذلك الطبيعة ، والمقام ، والحقوق . والحال ، ان ما لا يفتقر الى دليل هو وحدة الطبيعة البشرية ؛ مما ينجم عنه وحدة مقامها ، ووحدة حقوقها . فالخلق اذن ، لتعادلهم في الطبيعة ، متعادلون في الخواص ، والمقامات ، والحقوق الطبيعية.

هذه هي الحالة حالة الناموس الفطري . الّا ان البشر قد شوّهوها بتقليبهم نظامها ؛ واستمرّ هذا الاختلال الى بزوغ شمس الدين المسيحي ، فعند الهنود كان الناس ، ولا يزالون ، منقسمين الى طوائف او صنوف . ومن معتقداتهم أن طائفة الكهنة قد انبثقت من دماغ « براهما » كبير الهتهم ؛ مما جعلهم مستأثرين بالاعمال الفكرية كالعلوم والفنون . وغيرهم قد صدروا من صدر « براهما » وهم فريق المحاربين ، الذين من شأنهم الذبّ عن حياض الوطن . وآخرون خرجوا من جوف « براهما » وهم الحرّاث والصناع . وادنى

طبقة بين البشر ظهر اعضاؤها في الوجود عن طريق رجلي «براهما» وهم ارباب المهن الحقيرة. على انه مع ما في هذا التنسيق من هضم الحقوق، فلا اقلّ من ان واضعيه او متخيّليه قد حافظوا بعض المحافظة على المقام البشري، وشيء من شرفه، بعزوهم الورى الى اصل الهي. اما اليونان والرومان فقد كان المجتمع عندهم مؤلّفاً من طبقتين: طبقة السادات، وطبقة العبيد. ومما يقضي بالعجب العجاب ان فلاسفتهم اعينهم كانوا موافقين على هذا الضلال الاجتماعي، بل دافعين الناس الى السير بموجبه؛ حتى ان زعيمهم الاكبر، ارسطو الفيلسوف الشهير، قد جارى، في هذا الشأن، اهل عصره مجاراةً حملته على القول بان نفس العبيد ليست كنفس الاحرار. وهؤلاء العبيد، وان اطلق عليهم اسم البشر، فقد كانوا معدودين في جملة الانعام، يُشترون ويُباعون كالسلع، ويُستخدمون لاشقّ الاشغال، ويُذاقون الوان العذاب، بل يُفتك بهم فتكاً ذريعاً. ولم يكن ذلك من باب الشذوذ، بل كان قاعدة مطردة، تثبتها الشرائع المدنية، وتقرّها الاحكام الدينية، ويعتبرها الجمهور حالة طبيعية، لا تُستغرب ولا يُنفر منها. اما الدين المسيحي، فما كادت انواره تسطع على العالم حتى اخذ يناهض هذا الضلال، باجهاره بين الناس انهم جميعاً اولاد أب واحد، متشابهون في الطبيعة، متساوون في المقام البشري، متمتعون بحقوق واحدة.

على ان الدين يعلمنا، فضلًا عن ذلك، ان مرجع البشر ايضاً واحد؛ لانهم مدعوّون الى غاية واحدة وسعادة واحدة. بما خوّلهم في ذا الشأن حقًّا واحدًا، حقًّا من اهم الحقوق لتفوّقه عليها خطورة وفائدة، ولاستناده على جودة الله وحكمته وعدله. فانه عزّ وجل لأعدل من ان يحرمنا من نيله، وإلا لنفيت هذه الصفات منه، وهي صفة الجودة الراغبة في الخير لكل كائن؛ والحكمة الجازمة بوجوب بلوغ كل مخلوق غايته القصوى، والعدل القاضي باعطاء كل ذي حق حقه.

على ان التعادل في المكافأة يتطلّب التعادل في مكابدة القصاص. وبالحق ان البشر يعاملون في ديوان الله دون محاباة كلٌّ حسب اعماله. لا نجحد ان

في العالم الحاضر لا يظهر عدل الباري كما هو ، لاننا نرى المنافقين موشحين بجلباب الشرف والاعتبار ، راتعين في بحبوحة الهناء ، سالمين في عيشهم ، ناجحين في سعيهم ؛ مما يثير ثائر الناقصين رأياً وايماناً ، فيحملهم على التذمر والتشكي من العدالة الالهية . بيد انه قد فاتهم ان الله قد احتفظ له يوماً ، يدعى يوم الرب ، فيه يعاقب من اساءوا التصرف بخيراته ، وينتقم للمظلومين من الظالمين، وريثما يحل ذاك اليوم ، يوم التعادل بين الخلق في كل شيء ، قد ساواهم الآب في ابنه يسوع الفادي. لأن الحياة الحقيقية ، في نظر الايمان ، ما هي الا حياة المخلص فينا وحياتنا فيه . وكما ان الاعضاء كثيرون ، والجسد واحد ، فهناك ايضاً مسيحيون عديدون ، والمسيح واحد ، هذا ما علمه الرسول المصطفى ، وما اعتقد به المؤمنون ؛ مما حمل هذا الرسول العظيم على القول : « ليس بعد يهود ولا يونان ؛ ليس احرار ولا عبيد . » اجل ليس بيض وسود ، ليس كبار وصغار ، ليس اغنياء وفقراء ، ليس علماء وجهلاء ، ليس تفاوت بل تعادل ، لان الجميع قد اصبحوا واحداً بالمسيح ، لاصطباغهم بصبغة معمودية واحدة . واذ كان المسيح مساوياً لذاته ، فقد اضحى تلاميذه متكافئين . وكلهم عظماء لنيلهم العظمة من ابيهم الوحيد العظيم ؛ وكرامتهم واحدة ، لكونهم ابناء اب واحد ، واخوة اخ واحد ، هو المسيح ؛ فلم يعد فرق بينهم ، ولا فضل لاحدهم على صاحبه . ولذا فالمسيحي المتشح بالثياب الناعمة ، والمسيحي المترمل بالاطمار ، لابسان ثوباً واحداً ، لأن ثوبيهما هو المسيح.

وهذه الوحدة بالمسيح جعلت ان يكون الايمان واحداً للجميع ، خلافاً لما نراه بين علماء هذا الدهر ، الذين يحتقرون عامة الناس ، معتبرين نفوسهم حكرة العلم ، وامراء الفكر والكلام. في الدين المسيحي ليس تعليم للعلماء ، وتعليم للجهال . لان في دستور الاعتقاد من البساطة ما يهين تلقيه على العامة ، وفيه من السمو ما تستطيبه عقول الخاصة . فالتعليم واحد للكل لان الكل في عين المسيح على حد سواء . وكذا القول في الرياسة ، فهي في الكنيسة الكاثوليكية ، واحدة على الجميع ، وللجميع . هي على سائر المؤمنين لانتشارها في العالم باجمعه ، وتناولها كل مسيحي ، دون استثناء . وهي ايضاً للكل ،

لان المسيحيين قاطبة ، مهما كانت حالتهم ، ومنزلتهم المدنية – اغنياء ام فقراء ، اشراف ام خاملين ، من الخاصة ام من العامة – يسوغ لهم الانخراط في سلكها ، لا بل الرقي الى اعلى مراتبها ، اذا دعاهم الله الى ذلك. ومن ثمَّ ، فاذا رأت الكنيسة ابن احد الفعلة اهلاً لان يتبوأ منصة اسمى الدرجات الكنسية ، رقَّته اليها ؛ فيصبح بذات الفعل أباً ، ومعلماً ، وملكاً للعالم الكاثوليكي باسره. وما قولنا الآن في التوازن الذي انشأته في المعمورة تلك الفضيلة السامية التي جاء بها السيد المسيح ، وشمل بها البشر برمتهم ، وهي فضيلة المحبة. فان البشر من باب الاطلاق لا يمكنهم ان يحبوا احداً الا مالوا الى بغض الآخر. اما الربّ الفادي فقد وجد طريقاً حلّ هذه المعضلة برفعه جميع الناس الى مستوى محبة واحدة ، ترقى بهم الى قمة مجد واحد ، وسعادة واحدة ؛ فانه لم يأتِ الى البشر اتيان السيد الى عبيده ، بل نزل اليهم من سمائه ، نزول الاب الى اولاده ، والاخ الى اخوته ، والصديق الى اصحاب متساوين في عينه. وهذه المحبة الشاملة كانت مصدر كل ما عمله الربّ لاجل فداء العالم.

٢

الالفة قائمة على التراجع في المقامات والحقوق الشخصية

لقد قيل : الامثال حكمة الشعوب. ونعم القول ! لان الامثال والحكم زبدة الخبرة المتواصلة. ومن جملة ذلك حكمة فلاسفة الاخلاق القائلة : « خير الامور اوسطها ! » وطبقاً لهذا المبدأ جاء الحق سائراً في محجة الطريق ، غير زائغ الى احد الطرفين ، حيث الضلال ؛ والحقيقة التي نحن في صددها قائمة في الوسط ، يكتنفها ضلالان : الاول هو الذي دحضناه باثباتنا حقيقة التوازن الطبيعي بين الورى ؛ والثاني هو ضلال غلاة ابناء هذا العصر ، المحاولين نقل البشرية من التعادل الطبيعي الى التعادل الشخصي. وهو ، كالذي سبقه ، ضلال ينكره العقل ، ويردّه النقل ، وينفيه الدين.

يختلف اعتبارنا الانسان لاختلاف احواله. فان نظرنا الى المرء نظرنا الى

فرد منفصل عن بقية اقرانه في البشرية ، جاز لنا القول بان صفته الانسانية دليل على تساويه بغيره . اما اذا لاحظنا الجماعة المنضمّ هو اليها ، اضطررنا الى الإقرار بان هولاء الاشخاص ، الذين هو واحد منهم ، وان تمادلوا ، وهم منفردون ، فلا يلبثون ان يتراجحوا في المنازل والدرجات ، حالما ياخذون في الاجتماع . لانه من المحال انشاء جمعية خالية من نظام وتنسيق . على ان من مطلبات التنسيق وجود التفاوت في المقامات مما ينجم عنه ان التراجح الاجتماعي ليس من محسنات الاشياء وحسب ، بل من جوهرها وقوامها . فان البشر كانوا ، ولا يزالون ، ولن يزالوا متباينين في القوى البدنية ، والعقلية ، والادبية ، وفي الاحوال الشخصية ، والمالية ، والاهلية ، والقومية ، والامية . وقد بدأ هذا التراجح مع بدء العالم ، ولا يزال يتجدد بتجدد الجماعات ، والحكومات. وسببه بادٍ لكل ذي عين . فان الناس ، وان كانوا متوازنين من حيث الطبيعة — وهذا مجد الجنس البشري — الا انهم متفاوتون في الخواص ، والاقتدار ، والقيمة الشخصية — وهذا فخر الافراد ، ومجدهم ، واجرهم — وهذا الذي احدث في الالفة قوات متباينة ، كانت داعياً لوجود مقامات اجتماعية مختلفة.

على ان هناك من يقول : كفى تساوي البشر في البشرية ليُعتبر كل انسان كصنوه الانسان. ان هذا القول لقول وجيه، الا ان صوابه من وجه دون وجوه، فما رأي المعترض في من يدَّعي ان كل وردة كبقية الورود ؟ وكلّ شجرة كغيرها من الاشجار ؟ وكل نجم كسائر النجوم اي ان جميعها على حد سواء . اجل ! انها متعادلة في شيء ، وهو الطبيعة ؛ لكنها مختلفة في اشياء اخرى وهي الخواص الفردية . لان كل وردة ليس لها رونق وعطر كل الورود ؟ ولا كل شجرة متصفة بما ازدان به غيرها من القوة والارتفاع ، والنضارة ، والثمرة ؟ ولا لكل النجوم حجم واحد ، ونور واحد ، وبعد واحد ؟ ولا كل حيوان حائز كمالات جميع الحيوانات . فكذلك البشر ، مع كونهم متعادلين في الطبيعة ، ليس لكل منهم ما لغيره من القوى البدنية ، والمزايا العقلية ، والفضائل الادبية . زد على ذلك ان من مسببات هذا التراجح حالة الطبيعة الخارجة عن الانسان ؛ فان تصرفها نحو الواحد ، غير تصرفها نحو الآخر. فعلى هذا الرجل تظهر شفيقة،

رحيمة ؛ وعلى ذاك ، شديدة ، قاسية . تكلل بالخصب اتعاب هذا الفلاح ، فيعيش عيشاً رغيداً ؛ وتتقطع آمال الآخر بالجدب والغلاء ، فيقع في البلاء .
وهناك ايضاً داعي اختلاف درجات المواهب الطبيعية في الناس . فان منهم من يحلقون كالنسور فيدنون من شمس الحقّ ، والجهال ، والعظمة ؛ ومنهم من يسيرون بخطوات بطيئة ، وبعد جهد وعناء كثير ، لا يتوصلون الّا الى ما نزر. منهم من ينصبّ على تحصيل العلوم والفنون ، على حين ان غيرهم يقضون اوقاتهم بالبطالة والهذيان ، وما يقال عن العقول يمكن تطبيقه على الاخلاق ، فان الناس مختلفون فيها اختلافهم في غيرها ، اذ هناك اناس يتقدمون على صعاب الامور ؛ وهناك من يفشلون لمجرّد وقوفهم على العقبات. منهم من يجدّون فيتوصلون الى قمع الاهواء النفسانية ، ومنهم من تخور عزائمهم فيسقطون ، مستسلمين لسلطان الاميال الدنية .

وكم من الذين يقضون الايام والسنين ، تارة شجعان ، مقدمين ، غالبين ، مكللين ؛ وطوراً جبناء ، مدبرين ، مغلوبين ، مخذولين . وناهيك ما للجسد من نفوذ في هذه المعارك ، لما هو عليه من شدة التأثر ، ولما له من الدخل في مجاري الحياة ؛ فيقف غالباً ، حائلاً دون الرغائب الصالحة ، بما يعتوره من الضعف والخور . هذا ومها سمت القوى في البشر ، فهي ليست بكافلة لهم النجاح ، والتفوّق الاكيد : اذ كم من رجل ذكي ، اديب ، شجاع ، نراه خاملاً وضيعاً ؛ وكم من غبيّ ، جاهل ، جبان ، نجده ، رفيعاً ، جليلاً ، مثرياً .

هذه هي حالة البشر الوضعية ، اي الطبيعية . فمن اراد ازالة هذا التراجح ، والاستعاضة عنه بالتوازن في المقامات الشخصية ، تحتم عليه ، قبل ذلك ، ان يسعى فيتوصل الى محو كل اختلاف في الثروة ، والعلم ، والفضيلة ، والاخلاق ، والاهواء ، والقوى البدنية ، والعقلية ، والادبية ، والحرية . والخلاصة عليه قلب نظام الطبيعة ، وتغيير نواميسها ، واستبدال جوهرها . وهذا ما لا يغيب مستحيله على ذي بصيرة . اجل ! محال على شرائع الاجتماع مناقضة نواميس الطبيعة ؛ محال اخضاع اشخاص ، متفاوتي القوى والخصال ، والكمال ، لنير تعادل قسري ، اذ من ذا الذي في وسعه اجبار رجل نبيه ، شجيع ، همام ،

مقتصد ، عفيف ، متفانٍ ، على الهبوط ، في باب الثروة ، والمقام ، والشرف ، الى دركة رجل بليد، جبان ، قُعَدة ، مسرف ، متهتك ؟ ولِمَ يا ترى لا يحق للاذكياء ، والافاضل ، والنوابغ ، التفوق في المنزلة ، والتمتع بما يتصل بها من الفخر والمجد ؟ واذا جاز ذلك للنابغة ، فلِمَ لا يحلّ له ان يورثه لاعقابه اللائذين به ؟ ومتى حتمت الطبيعة وقضى العدل ، ان تضطر الاسرة الراقية اعضاؤها ذرى المجد ، الى الهبوط في دركات الذلّ والهوان ، لتكون على مستوى العائلات الدنية السافلة ؟ فانت ترى ، ايها اللبيب ، ان هذا التعادل الذي يسعى في تحقيقه ارباب الاوهام باسم الطبيعة ، لتتبرأ منه الطبيعة عينها . لان من شأنها الترقي ، ولاسيا الترقي الاجتماعي ، وهذه المبادئ المعوجة تلزمها بالانحطاط والتقهقر . وهو والحق يقال ، أمر شائن بها ومناف لكل تقدّم وعمران .

اضف الى ذلك السماجة التي يشوّه بها هذا التوازن الاضطراري وجه الألفة . اذ من الامور الواضحة ان لا جمال دون نظام ، ولانظام ، دون تساوق ؛ ولا تساوق ، دون تفاوت ؛ ولا تفاوت دون اختلاف في الاموال ؛ ولا اختلاف في الاموال دون تباين في القوى والكمالات الفردية . وبزوال هذه التباينات يزول كل جمال . على ان حالة الكون باسره تناقض هذا الادعاء ، فان البرويات جماء ، سماوية كانت ام ارضية ، مزدانة بالنظام ، ومن ثمّ متلألئة بانوار الجمال ، اذ ما بهاء الملائكة ، لو كانوا كلهم زمرة واحدة ؟ وما رونق النجوم ، لو كانت كلها سديماً ؟ وما ملاحة الحيوانات لو كانت باسرها جنساً فذًا ؟ وما نضارة النباتات ، لو كانت جميعها طائفة منفردة ؟ وما صباحة افراد البشر لو كانوا بجملتهم قالباً واحدًا ؟ فالذي رتّبه الله لا يسوغ للانسان ازالته ، لما في ذلك من المنافاة للطبيعة ، والحطّ من قدر البشرية ، والامتهان للحكمة الالهية .

هذا وهب ان دعاة الضلال ساعدتهم المقادير ، فانشأوا في الالفة نظام التوازن القسري ، افتظن انه يثبت دون تزعزع ؟ كلا ثم كلا ! فان هذا الوليد وليد العقول الضعيفة ، والمخيلات الواهنة ، لا يمتنع ان ينال حتفه في مهده ،

بسيف الطبيعة ذاتها ، المتأصل فيها الاختلاف الشخصي ، والتراجح الاجتماعي ، اجل ! لا بد للطبيعة من استرجاع قواها ؛ لا بد الذكاء والشجاعة ، والفضيلة من استئناف التفوق على ما يعاكسها ؛ لا بد للاهواء المنحرفة من استعادة ما فقدته من التسلط على المتقاعسين ، فتقعدهم عن اللحاق بالجادين في سبيل التقدم؛ لا بد من ان تعود الثروة الى ايدي العارفين اكتسابها من ابوابها ؛ وبعودة الثروة ، لا بد من عودة الامتيازات ، ومن ثم فالاختلافات ؛ مما يزول به التوازن الصناعي ، ويحلّ ثانية التراجح الاجتماعي الطبيعي . وهذا ما ليس يخاف على دُعاة هذا التعادل الوخيم . والدليل انه ، يوم تأجج نيران الثورات، وحدوث الانقلاب في المجتمع ، بعد ان يصل الثوار الى غايتهم ، فيحين اوان اجراء التسوية والتعادل بين الافراد ، نجد اولئك المكرة الخوَنة يحتفظون لذاتهم النصيب الاوفى ، فيفتنون وينعمون ، على حين ان الشعب المسكين الذي قادوه في وهاد الضلال فظلموه ، مستفيدين من عماه وغباوته ، تراه باقياً في حالة الذلّ والهوان ؛ تائهاً حيران ؛ بائتاً جوعان عطشان ؛ سالكاً عريان بردان ؛ معترى بالاسقام والآفات ؛ منهوكاً بالامراض والعاهات ؛ متجرعاً غصص الآلام ؛ الى ان يشرب كاس الموت الزؤام.

فعلى العاقل ان ينبذ وراء ظهره هذا الاختلال الممقوت ، ويقبل ما رتبه الخالق ، وجرت عليه الطبيعة ، وحكم بصوابه العقل ، وأقرّه الدين ، الا وهو التوازن في الخواص والمقامات والحقوق الطبيعية ؛ والتراجح في الخواص الشخصية الناجم عنها المقامات والحقوق في الالفة الاجتماعية . مما به يرقى المجتمع في معارج الفلاح ، وتتوطد اركان الحضارة المثلى ، والسلام.

التشيّع لمعاوية

في عهد العباسيين

بقلم الاديب حبيب زيّات

كان مقتل الخليفة عثمان بن عفّان اوّل ما شتّت الأُلفة في الاسلام، وحلّ عُرى الوحدة والجماعة، ودعا الى التحيّز والتحزّب في الامصار؛ فتباينت الاهواء والبدع، وتعدّدت الفرق والشيع، وتميّز كل قطر بنزعتهِ ونحلتهِ. ولذلك لما اراد محمد بن علي بن عبدالله بن العباس توجيه دُعاتهِ الى الامصار، قال لهم، في ما حكاه ابن الفقيه في كتاب البلدان، (١ وعنهُ نقل البشاري في احسن التقاسيم، (٢ وياقوت في معجم البلدان، (٣ ورواية ابن الفقيه اتم واصح. قال:

« اما الكوفة وسوادها فشيعة علي وولدهِ. واما البصرة وسوادها فعثمانية تدين بالكفّ تقول: «كن عبدالله المقتول، ولا تكن عبدالله القاتل.» واما الجزيرة فحرورية مارقة، واعراب كأعلاج، ومسلمون في اخلاق النصارى. واما اهل الشام فليس يعرفون الا آل ابي سفيان وطاعة بني مروان. عداوة راسخة وجهل متراكم. واما مكة والمدينة فقد غلب عليهما ابو بكر وعمر. ولكن عليكم باهل خراسان فان هناك العدد الكثير والجلد الظاهر.»

فما كون اهل الشام شيعة آل ابي سفيان ومروان، لا يعرفون سواهم، فهو مما لا حاجة الى التنبيه عليه لاستفاضتهِ واشتهارهِ. ولكن قد خفي علينا كثير من انباء هذه العداوة الراسخة التي كانوا يناجزون اعداء بني امية ومنازعيهم والخوارج عليهم. فمن اطرف ما وقفت عليه من نوادر اخبارها، بل من اغرب مظاهرها وآثارها، ما ورد في ترجمة ابي الحسن المدائني بروايتهِ. قال:

« امر المأمون احمد بن يوسف بادخالي عليه. فلما دخلت ذكر علي بن ابي طالب، عليه السلام، فحدثته فيه باحاديث. الى ان ذكر لعن بني امية لهُ

١) ص: ٢١٥ ٢) ص: ٢٩٣-٢٩٤ ٣) ج: ٢ ص: ٦١٢

فقلت: حدثني ابو سلمة المثنى بن عبدالله، اخو محمد بن عبدالله الانصاري، قال: قال لي رجل: كنت بالشام فجعلت لا اسمع احداً يسمّي عليا ولا حسناً ولا حسيناً. وانما اسمع معاوية ويزيد والوليد. قال فمررت برجل جالس على باب داره، وقد عطشت، فاستسقيته. فقال: «يا حسن اسقه.» فقلت: «أسمّيتَ حسناً؟» فقال: « اي والله ان لي اولاداً أسماؤهم حسن وحسين وجعفر. فان اهل الشام يسمّون اولادهم باسماء خلفاء الله. ولا يزال احدنا يلعن ولده ويشتمه. وانما سميت اولادي باسماء اعداء الله. فاذا لعنت انما العن اعداء الله.» فقلت لهُ: «ظننتك خير اهل الشام، واذا جهنم ليس فيها شرّ منك» (١ ولا يخفى ما في استقراء نظائر هذه المانحة من الفائدة في تمثيل العصر الشامي في اخلاقه وعاداته ونوادره ونكاته.

وقد يغلب على الظنّ ان حب معاوية وآله كان منحصراً في الشام وحده لم يتجاوز قط الى العراق، «موطن الشقاق والنفاق» في قول الحجاج، وان دولة بني العباس، لما قضت على بني امية وتتبّعت رجالهم وآثارهم قتلاً وتشريداً وتخريباً، نسخت ذكرهم من الافئدة والابنية، واستأصلت اولياءهم ودعاتهم من المدن والامصار ما خلا الاندلس. ولكن هنالك ادلة كثيرة على ان التشيّع للامويين لم يزُل بزوال ملكهم، بل ظل يكمن تارة ويظهر اخرى، حسب تشدّد السلطان في اقتصاص آثاره، واقتناص انصاره. وهذه بغداد نفسها، مع انها كانت مقرّ اعدائهم وعاصمة الخلافة العباسية، لم تخلُ في وقت من متحيّز للعثمانية والاموية ومجاهر بفضائل معاوية. وقد نُقل عن ابي عمر الزاهد من ائمة اللغة واكابر اهلها في بغداد حيث كانت وفاته سنة ٣٤٥ هـ. انه كان « قد جمع جزءاً في فضائل معاوية فكان لا يمكن احداً من السماع منه حتى يبتدئ بقراءة ذلك الجزء» (٢

وقد كانت شيعة عليّ في العراق ولاسيا بغداد تؤثّم كل من دافع عن عثمان ابن عفان ولم يتبرأ من الشيخين، وتلعن معاوية وسائر الامويين. ولذلك لما دخل

١) ياقوت: ارشاد الاريب، ج: ٥، ص: ٣١١

٢) ارشاد الاريب ج: ٧، ص: ٢٩

الجماز الشاعر البصري بغداد في ايام جعفر المتوكل، وكان قد كتب في حمله اليه ، انشده :

ليس لي ذنب ، الى الشيعة ، الا خصلتين :
حبّ عثمان بن عفّان ، وحب العُمرين (١

وفي ضدّ ذلك كان فريق من اهل السنّة يصرّحون بتفضيل معاوية ويبالغون في تقدير فضائله ، ويعدون رافضياً كل من لم يرَ رأيهم فيه وان كان سنياً . وقد حكى البشّاري ، صاحب احسن التقاسيم ، نكتة حرية بالذكر في هذا الباب ، قال:

« كنت يوماً بجامع واسط واذا برجل قد اجتمع عليه الناس ، فدنوت منه ، فاذا هو يقول: حدثنا فلان عن فلان عن النبي (صلعم) « ان الله يدني معاوية يوم القيامة فيجلسه الى جنبه ، ويغلّفه بيده (اي يطيّبه بالغالية ويعطره) ثم يجلوه على الخلق كالعروس.» فقلت له: «بماذا ؟ بمحاربته علياً ؟ رضي الله عن معاوية! وكذبت انت يا ضالّ.» فقال: «خذوا هذا الرافضي.» فاقبل الناس عليّ. فعرفني بعض الكتبة فكركرهم عني » (اي دفعهم وردّهم)(٢

ومعلوم ما في هذا الشاهد ، والذي تقدمه من حكاية ابي عُمر الزاهد ، من الدلالة الكافية على ما كان للتشيّع لمعاوية في العراق من الشيوع والانتشار ، حتى كان يُجاهر به بمسمع من الخلفاء العباسيين في حلقات الدرس ومجالس القُصّاص دون نقل انكار . وقد اشتهر بالمغالاة فيه من اهل السنة الحنابلة خصوصاً . وهو ما اشار اليه البشاري حيث قال: « حنابلة العراق غالية مشبهة يفرطون في حب معاوية ويروون في ذلك اخبارًا منكرة. بخاصة البربهارية »(٣ على انهم لم ينفردوا بذلك في العراق وحده بل عُرفوا به ايضاً في ما وراء دجلة في اقاليم الجبال ، اي اصفهان وهمذان والريّ وما اليها من بلاد فارس ، كما حكاه البشاري نفسه في ما رواه عن اهل هذه البلاد وقال: هم « اما غوالٍ حنابلة يفرطون في حب معاوية. او نجّارية غالية يقطعون بالكفر على الطوائف الهادية»(٤

١) تاريخ بغداد للبنداري. باريس، ٦١٥٢، ص: ٣٦

٢) ص : ٣٦ ٣) ص : ١٢٦ ، حاشية : C ٤) ص : ٣٨٤

وورد له مثل هذا في اخباره عن اليهودية قصبة اصفهان قال: «غوالٍ حنابلة». «وفي نسخة اخرى» يفرطون في معاوية»(١ . واتفق له في اصفهان قريب مما اتفق قبلًا في واسط، وهي نكتة اخرى نثبتها في هذا المقام اشارةً الى الحدّ الذي كان بلغه حب معاوية من الفشوّ والإغراق في المصر المجاور لخراسان حيث نشأت الدعوة العباسية . قال:

« في اهل اصفهان بَلَه وغلوّ في معاوية . ووُصف لي رجل بالزهد والتعبد، فقصدتهُ وتركت القافلة خلفي وبتُّ عندهُ تلك الليلة، وجعلت اسائلهُ الى ان قلت: «ما قولك في الصاحب؟» (ابن عباد) فجعل يلعنه. ثم قال: «انه اتانا بمذهب لا نعرفه». قلت: «وما هو؟» قال: «يقول: معاوية لم يكن مرسلًا . » قلت: «وما تقول انت؟» قال: «اقول كما قال الله عزّ وجلّ: «لا نفرق بين احد من رسله». ابو بكر كان مرسلًا، وعمر كان مرسلًا.» حتى ذكر الاربعة. ثم قال: «ومعاوية كان مرسلًا.» قلت: «لا تفعل . اما الاربعة فكانوا خلفاء . ومعاوية كان ملكاً. قال النبي (صلعم): الخلافة بعدي الى ثلاثين سنة ثم تكون ملكاً.» فجعل يشنّع عليّ واصبح يقول: هذا رافضي . فلو لم تدركني القافلة لبطشوا بي . ولهم في الباب حكايات كثيرة »(٢

ومن هنا يُعرف كيف تطوّر حب معاوية تدريجاً، وكيف ان شقيق ام حبيبة بعد ان كان « خال المؤمنين وكاتب وحي رب العالمين » لم يلبث ان صار مرسلًا . ومن الاسف ان البشاري لم ينقل لنا بقية هذه الحكايات الكثيرة التي اشار اليها، لنقف منها على تاريخ التشيع لمعاوية في تقلباته ودقائقه . ومن الغريب ان التاريخ، في ما اتصل بنا منه الى اليوم، لم يتعرض لذكر شيء من هذا التعصب في الاندلس، مع انه كان مباءة الامويين ومعقل انصارهم . ولا شكّ انه لم يخلُ من داعٍ لهم ومُشيد بحقوقهم وصحة امامتهم . واشهر من عُرف فيه بذلك الامام العلامة ابن حزم الطائر الصيت، فقد حُفظ عنه « تشيعه لامراء بني امية ماضيهم وباقيهم بالشرق والاندلس، واعتقاده لصحة امامتهم وانحرافه عن سواهم من قريش »(٣

١) ص: ٣٨٨-٣٨٩ ٢) ص: ٣٩٩ ٣) ارشاد الاريب ج: ٥، ص: ٩٣

بقي ان نرى السبب الذي كان من اجله بعض اهل السنة ، وفي مقدمتهم اتباع الامام احمد بن حنبل ، يفرطون هذا الافراط في حب معاوية ويبالغون في التعصب له ، وهو ما لا يكفي في تعليله « ما نُقل من جبن رأي الامام احمد في صهر الرسول وامينه على وحيه » . ولعلّ هذا التحزّب لم ينشأ في العراق خصوصاً ، ولم يكن الا رجعاً اصدى مبالغات الشيعة في علي ابن ابي طالب ، من باب مقابلة التشيّع بضده ، ومكافأة الخصم بقرنه . ثم امتزجت بذلك الضغائن والحزازات فكان بعض اهل السنة ، كلما انكروا إفراطاً من شيعة علي ، تلقوهم بمثله في معاوية مناظرةً واقتصاصاً . وكل من طالع تاريخ العراق يعلم مبلغ العداء الذي كان مستحكماً بين السنة والشيعة ، وكثرة الفتن والشرور التي كانت تثور دائماً بين الفريقين ، ويجري فيها كل قبيح من سلب ونهب وقتل وإحراق . فلا عجب اذا كان اخصام الشيعة يبالغون احياناً في المجاهرة بكل ما كانوا يعلمون انه يسوء اعداءهم اعتقاده ، ومن ثم لا يبعد ان يكون قسم من المتحزبين لمعاوية ، ولاسيما من العامة والسوقة الذين استدرجتهم البغضاء والاحقاد ، اكثر من الذين تلقوا التشيّع من طريق الاجتهاد والاعتقاد .
وقد عثرت في هذا المعنى في مجلد من تاريخ بغداد لابن النجار ، محفوظ في خزانة باريس ، قد ذُكر فيه غلطاً انه للخطيب البغدادي ، على نكتة فريدة تؤيد هذا الرأي اجعلها مسك الختام . قال في ترجمة علي بن محمد بن الكيس ابي القاسم ، في رواية عنه :

« اخبرنا ابو بكر احمد بن جعفر بن مالك القطيعي في مسجده قال : سمعت عبدالله بن احمد بن حنبل يقول : كنت أحبو فاخذ ابي بيدي وعبر بي الى الجسر فمضى الى جامع الرصافة . فلما انتهينا اليه رأينا حِباباً فيها السويق والسكر والماء المبرد بالثلج ، وخدماً في ايديهم الطاسات يقولون للناس : اشربوا على حب معاوية بن ابي سفيان . قال : فقلت : « يا أبه من معاوية ؟ » فقال : « هؤلاء قوم بغضوا رجلاً لم يكن الى الطعن عليه سبيل فاحبّوا اعداءه » . قال الشيخ : احفظ هذه الحكاية عن ابن مالك فهذه حكاية عجيبة ظريفة (١

١) باريس ٢١٣١ ، ص : ١٦

قلت : واعجب من هذه الحكاية ان يكون لابن ابي سفيان اول مرتّي الدول في الاسلام ، وسائس الامم وراعي الممالك في الشام ، مثل هذه المكانة والشهرة الذائعة التي طبقت الامصار والآفاق ، وبعثت على محبته اشباه هؤلاء الثلاثة في فارس والعراق ، ثم لا يكون حظّهُ اليوم في وطنهِ دمشق ، وهي العاصمة التي عقد لها تاج الفخر على هامة العصر ، الا الجفاء والاطّراح والنسيان ، وقلة الكرامة والشيعة والاعوان ، فما احقه فيها بقول ابن حزم :

انا الملق الذي لا عيب فيه سوى بلدي وأني غير طاري
تقرّ لي العراق ومن يليها واهل الارض الّا اهل داري !

أڤالون (فرنسة) في ١٣ نيسان ١٩٢٨

الكهرباء ومستقبلها في لبنان

بقلم انطوان باز
المهندس من المكتب الافرنسي في بيروت ، ومن مدرسة الكهرباء العليا في باريس

لا يزال ملك الكهرباء يمتد يوماً فيوماً ، منذ شعرت الدول بالقوة الهائلة التي يمكن استخراجها من المياه الذاهبة هدراً الى البحر .

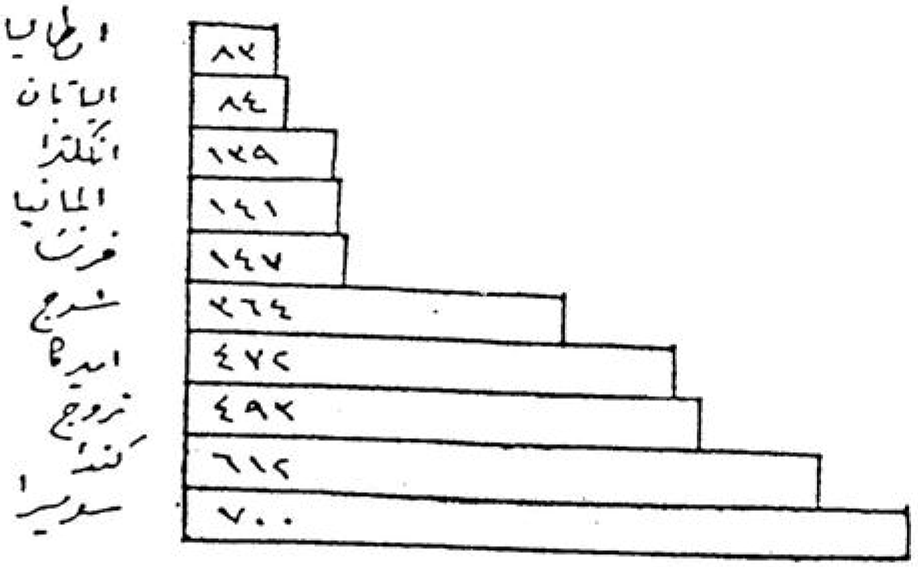
إنَّ ما تحويه طبقاتُ الارض من الفحم لمحدود ، وينابيع الكاز في روسية واميركة لا تلبث ان تجفَّ ، فمن اينَ لنا بالقوة الحِيَليَّة (الميكانيكية) ، ومن اين لنا بالنور والحرارة ان لم نعمد الى إستخدام الشلّالات والانهر ، وفيها من القوة الكامنة ما يربو على الاربعمئة والخمسين مليون حصان . فلو توصل العالم الى استخراج هذه القوَّة لتوفَّر عليه كل يوم مليون ومائة وخمسة وعشرون الف طن من الفحم . هذا اذا عدلنا سير الماكنات خمس ساعات في النهار فقط . ونأسف ان يكون ما استخرج من تلك القوة الى اليوم لا يبلغ التسعة والعشرين مليوناً من الاحصنة موزعةً هكذا :

اميركة الشمالية	١٣,٧٠٠,٠٠٠
اميركة الجنوبية	٦٥٠,٠٠٠

اوربة	١٢,٣٠٠,٠٠٠
آسية	٢,٠٠٠,٠٠٠
افريقية	١٤,٠٠٠
استرالية	٢٢٠,٠٠٠

ثم إنَّ هنالك مسألة وطنية تدفع بالدول المفتقرة الى مناجم الفحم وينابيع الكاز الى استخدام القوة المائية كي تكون في غنى عن جيرانها . ولذلك اهمية كبرى في وقتِ الحرب ، اذ تنفردُ كل دولةٍ بمحصولات ارضها . ولم ننسَ بعد سنتي ١٩١٦ و ١٩١٧ لمَّا اضطرَّت الحكومة التركية الى قطع احراجنا لتسيير قطاراتها.

ان تلك النظرية هي التي دفعت بثلاثٍ من دول اوربة الى زيادة مراكزها المائية . فاسبانية زادت على قواتها ٦٧ ٪ منذ سنة ١٩٢١ ، وايطالية ٤٧ وفرنسة ٥٠ ٪. ولا تزال الاعمال متابعةً بنشاط . ولم تكن سويسرة باقل دراية منها، وهي تعدُّ في مقدمةِ دول العالم في هذا السبيل. كيف لا و٨٦,٢ ٪ من القوة فيها مولَّد على الماء والباقي ، وهو النذر اليسير ، على الفحم . وقد كان ذلك سبباً لاستخدام الكهرباء بكثرة في البيوت ، كما يظهر من الشكل الآتي ، وقد مثَّلنا فيه مقدار ما استهلكته كلُّ نفسٍ من الكيلووات في الساعة (kilowattheure) في سنة ١٩٢٣

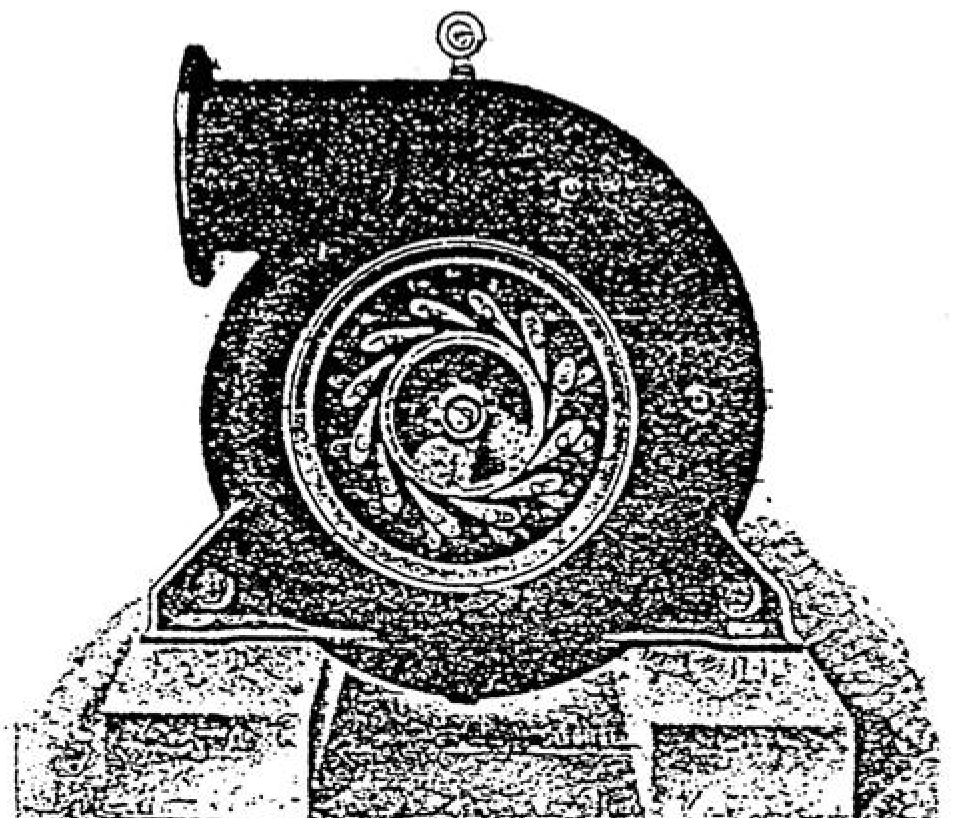


لندع الآن اوربة جانباً ولنلقِ نظرةً على لبنان ، وما فيه من ينابيعٍ تتفجّر ، وشلّالات تتدفّق ، وانهر تسيرُ من الجبلِ الى البحر ، حاملة طيّ مياهها القوة والحرارة والنور . واننا نقسم هذا الدرس الى قسمين :

١ً المشاريع الكبيرة : مَا حُقق منها ، وما هو باقٍ تحت الدرس.

٢ً المشاريع الصغيرة : ما عُمِلَ ، وما لم يُعمل

إنَّ ما عُمل من المشاريع العظيمة لقليل ، بل هو واحد ، وهو مشروع زحلة . وقد استعملت له مياه البردوني بعلوّ عاموديٍ يبلغ المائة والثلاثة عشر متراً ، وكمية الماء كافية لتوليد قوة الف حصان مدة عشرة اشهر ، وثلاثماية حصان في شهري آخر الصيف . والماء يصب في دوّامتين (turbines) بواسطة انابيب



رسم : ١ — دوّامة (turbine)

طولها ٣٤٦ متراً . امّا مقدار ما تولّده الماكنات من الكهرباء فهو كناية عن ستماية الف شمعة ، او عشرين الف قنديل قوة كلّ واحدٍ منها ثلاثون شمعة

أما المشاريع التي هي تحت البحث فاولها مشروع نهر ابراهيم ، وكلٌّ يعلم ما بُني عليه من الآمال . انما يدُ السياسة عرقلت مساعي البعض من الوطنيين. ثمَّ إنَّ هنالك صعوباتٍ فنية من جهة عدم انتظام كمية الماء ، وصعوبة بناء سدّ (barrage) لخزنها بسبب خسوف الارض . فكمية الماء التي تقارب الاربعة والعشرين متراً مكعباً في الثانية مدة فيضان النبع ، لا تكاد تبلغ المتر الواحد في شحائح الصيف ، والمتر المكعب كناية عن ٥٠ تنكة . وقد يُرجى من هذا المشروع قوة ستين الف حصان اي ما ينير بيروت وكل القرى المجاورة

وفي مقدمة المشاريع التي يؤمل تحقيقها قريباً مشروع الصفا ، وقد طلبت امتيازه شركة الجرّ والتنوير في بيروت . فمياه هذا النبع تتفجر من صخور الصفا قرب قرية عين زحلتا بمياهٍ لا يقلّ عن الستين الف متر مكعب في الاربع والعشرين ساعة ، فتسير في وادي الصفا الى البحر عند الدامور حيث تحيي اغراس التوت . وقد فكّرت الشركة ببناء قاطعٍ في اول مجرى النهر ، يخزن تلك المياه ، فتسير في قناةٍ مخصوصة في لحف جبل العرقوب ، ثم في نفقٍ في الجبل طويل ، الى ان تخرج عند قرية كفرنيس ، في الجهة المعاكسة . وهناك تدخل في انابيب لتحريك المولّدات الكهربائية في قعر وادي الرملية . وعلوّ انحدار المياه لا يقلّ عن الخمساية متر عامودي ممّا يوازي قوّة ثلاثة آلاف وخمسمائة حصان في الشحائح . وفي نيّة الشركة نقل هذه القوّة الى بيروت بواسطة اسلاك جوّية . وقد يؤمل ، اذ ذاك ، انزال سعر الكيلوات في الساعة ، رغم ما تتكلّفه الشركة ، في بادئ الامر ، من النفقات الفادحة ، لجر المياه ، وبناء المركز ، ونقل القوة . ويُخشى ان تعدل الشركة عن هذا المشروع اذا لم تتمكن من شراء كل مياه الصفا — وثلثها خاص بكرسي بيت الدين لاسقفية صيدا ودير القمر المارونية — فترجع اذ ذاك الى مشروع نهر الاولي قرب صيدا وان كانت نفقات هذا المشروع تزيد على نفقات الصفا ، لطول السد ، وبعد المركز عن بيروت[١]

ويجب الّا ننسى مشروع القاديشا ، النبع المقدس ، فوق بشرّاي ، وقد اخذت

١) بلغنا ، عند اصلاح مسودّة هذه المقالة ، ان الاتفاق بين الاسقفية والشركة تمّ بوجه فيه منفعة للفريقين

امتيازه شركة عمادها السادات جعجع وكيروز فبدأت بالأعمال بنشاط . ومن المعلوم ان معظم القوة المحتمل توليدها والتي تبلغ في الشحانح الف حصان ونيف ، سيُساق باسلاك لانارة مدينة طرابلس

هذا مُجمل المشاريع العظيمة . واننا نعلّق آمالاً كبيرة على كثير من المشاريع الصغيرة — ومجموعها يعطي عدداً من القوة غير قليل — فضلاً عن ان تلك المشاريع لا تستلزم نقلَ القوَّة الّا الى مسافاتٍ قصيرة بحيث ان كل بلدة او مقاطعة تكتفي ذاتها . وقد حُقق من تلك المشاريع الصغيرة مركز نهر الكلب على مسافة من جسر الخط الحديدي ، وهو الذي ينير جونية الآن وقوته مائة حصان .

ومثل مشروع نهر الكلب ، مشاريع عديدة يمكن ان تقام في كلّ ناحية ، وعلى ضفاف كل نهر . وكم من الطواحين يمكن تحويلها ، بنفقاتٍ زهيدة ، الى مراكز كهربائية

خلاصة القول إنَّ ما عندنا من الينابيع والانهر يَضمن لنا مستقبلاً كهربائياً باهراً فيتسنى لنا ، ليس فقط ان نستنير ، بل ان نطبخ ونصطلي ونتمتع بجميع مرافق القوَّة الجليلة

* * *

درس مركز كهربائي

أمّا وقد ألقينا نظرة اجمالية على مشاريع لبنان ، فمن المفيد ان ندرس مركزاً كهربائياً ، فنبيّن الطرق التي تُحوّل بها قوةُ الماء الى تيار كهربائي . وعليه نقول :

ان القوة الكهربائية المحتمل توليدها من المياه تزيد بغزارة تلك المياه ، وعلوّ انحدارها ؛ ولذلك فكثيراً ما يحوّلون الماء عن مجراه الطبيعي ليتمكنوا من زيادة العلوّ ، فيبنون في مجرى النهر سدّاً متيناً تجتمع وراءه المياه ، ثم تسير منه بواسطة قناة في لحف الجبل الى ان تصل الى مركز مناسب يُشرف على الوادي . فتُسيَّر اذ ذاك ضمن انابيب او « قساطل » تؤدي الى المحرّك المائي

او الدوَّامة فتديره . وفي الغالب يجعلون ، بين آخر القناة واوله ، غرفة يرسب فيها ما تقذفه المياه من الرمال ، والاجسام الغريبة ، وهي لو نزلت على الدوَّامة لبرتها مع طول الايام . وفي البلاد الكثيرة الاشجار ، يجعلون ايضاً شبكةً من حديد لتوقيف الاوراق التي يحتمل ان تسدّ مجاري المحرّك .

أمّا الانابيب فهي غالباً من الحديد . اما اذا زاد قطرها عن المترين او الثلاثة ، فتُصنع احياناً من « البطون » المقوّى (béton armé)

ويجب لتركيب هذه الانابيب احتياطات عظيمة بحيث تكون راسخة في الصخرة لا تزحزحها الامطار والزوابع . وقد تفنن المهندسون في مدّها حتى انهم توفّقوا الى عبر الاودية بها دون جسور . والرسم في الصفحة المقابلة يمثل انابيب قناة فوق وادي « الأرك » (arc) قرب بلدة (S[t] Jean de Maurienne (Savoie) في فرنسة ، عملت بشبه جسر مقوّس كي تحمل ذاتها وما فيها من الماء . ومن الغريب انهم جعلوا عن جانبيها حواجز ليتمكن المارّون من السير عليها كجسر او عبّارة .

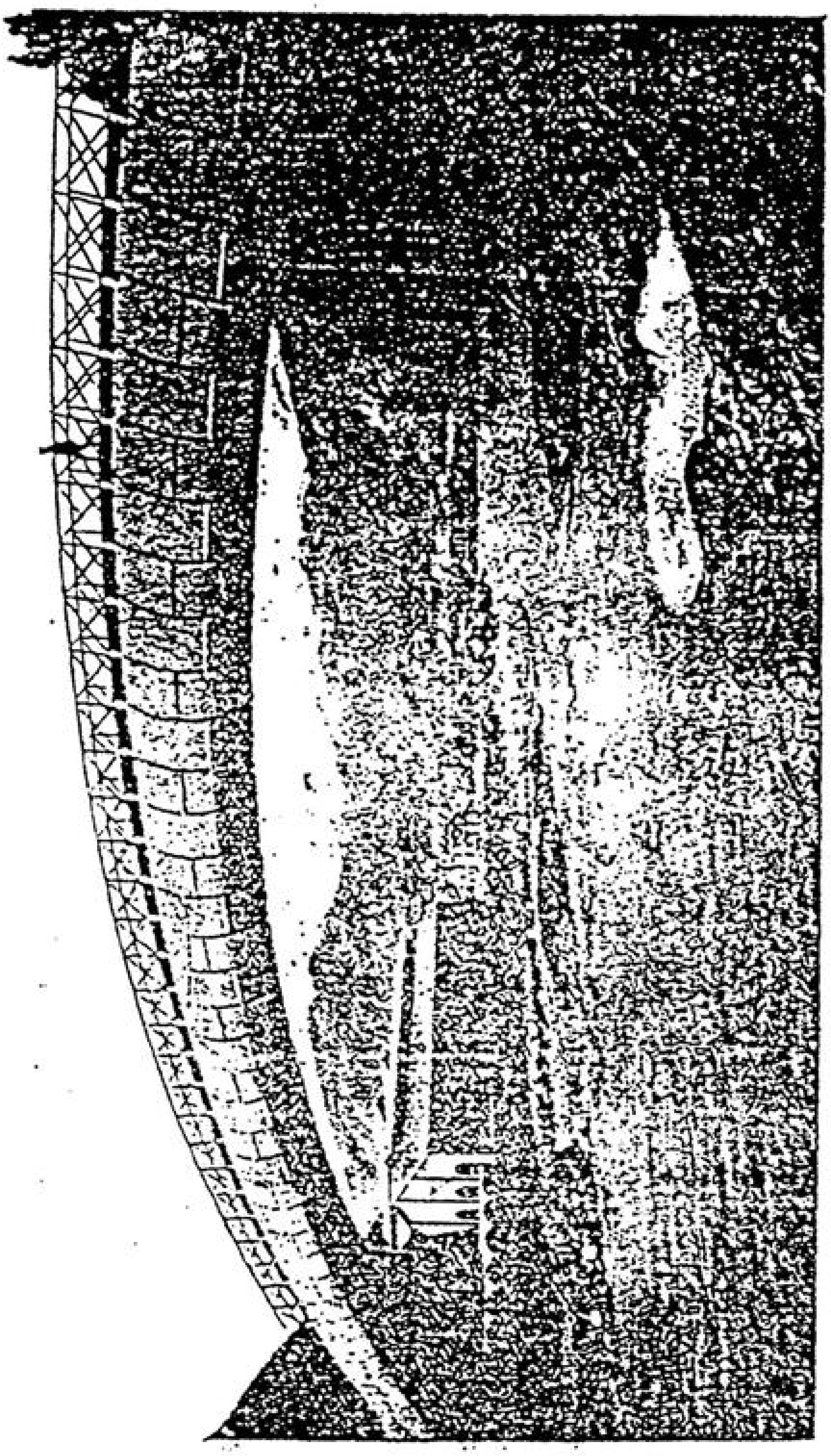
* * *

قلنا ان المياه تدخل بقوة على الدوَّامة ، او المحرك المائي فتديره ثم تخرج منه ، وفي بيان الحكومات ان تُعاد تلك المياه الى مجراها الاصلي ، بواسطة قناة مخصوصة ، كي يتمكن من الاستفادة منها باقي المزارعين . وكثيراً ما يصير استعمالها ثانيةً لتوليد القوة الكهربائية كما في المرة الاولى ، وهلمَّ جرًّا .

وهنالك مسألة ذات اهمية الا وهي انتظامُ جريان الانهر . فمن الانهر ما لا تجري الّا في الشتاء ، وهذه لا يحسن استعمالها لتوليد الكهرباء ، ومنها ما تفيضُ في الشتاء وتشحّ في الصيف وهي المغذاة بمياه الينابيع ، ومنها ما اعتدلت مياهها نوعاً صيف شتاء ، بسبب الامطار في الشتاء ، وذوبان الثلج مدة الربيع والصيف . وهذه الانهر هي الانسب المشاريع الكهربائية للسبب الآتي :

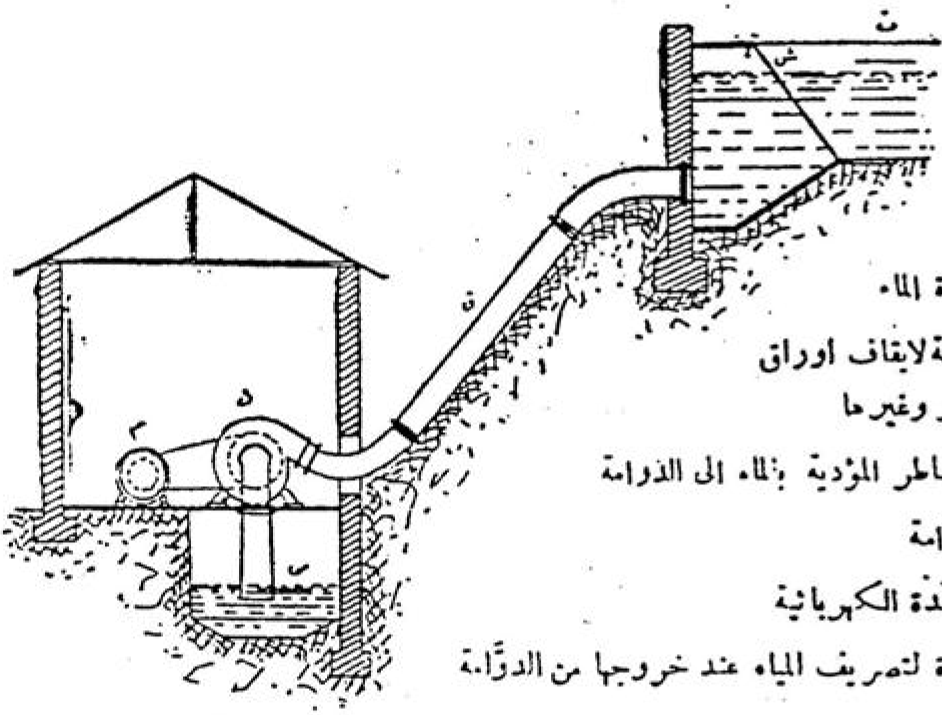
هب اننا نُريد توليد قوة كهربائية من نهر مياهه في الشتاء الف ليتر في الثانية ، وفي الصيف عشرة ليترات فقط . فلو جعلنا الدوَّامة لعشرة ليترات لما [illegible]

نفقات زائدة بدون جدوى ، اذ ان هذه القوة لا تدوم الّا مدة الشتاء .
ففي هذه الحال يعدّلون عيار الماء مدة سبعة او تسعة او عشرة اشهر ويجعلون الدوّامة مناسبة لهذه الغاية .



رسم ٢ : — منظر لانابيب ماء جُعلت كجسر فوق وادي الآرك في فرنسا قرب St Jean de Maurienne (Savoie)

وكثيراً ما ينظمون جريان الانهر بواسطة خزّانات للماء (réservoirs) يجمع فيها ما يزيد من المياه في الشتاء لاستعماله ايام الشحائح . انما هذه الخزّانات تقتضي نفقات عظيمة اذ يجب ان تكون متينة البناء لئلا تنفجر فتجرّ من الويل والخراب ما لا يوصف — وترى ادناه شكلاً لمركز كهربائي



ت : قناة الماء

ش : شبكة لايقاف اوراق الاشجار وغيرها

ق : القساطر المؤدية بالماء الى الدوامة

د : الدوّامة

م : المولّدة الكهربائية

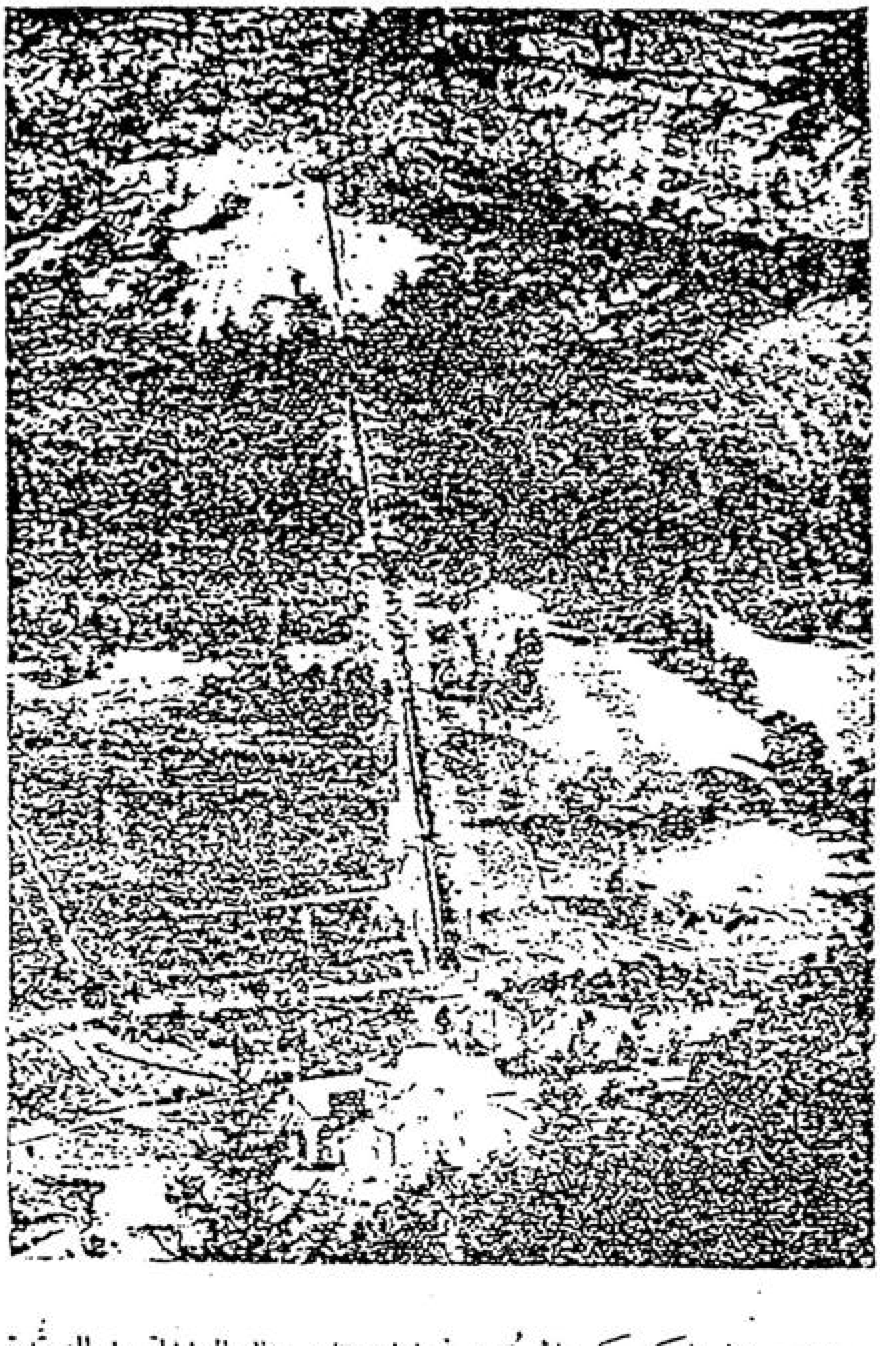
ص : قناة لتصريف المياه عند خروجها من الدوّامة

رسم : ٣ — شكل هندسي لمركز كهربائي

توليد الكهرباء من الماء

لا ريب في ان كثيراً من العامة يتساءلون عن ذلك ؛ وقد سمعت بعضهم يقول : « ولماذا يولّدون الكهرباء في بيروت على النار وماء البحر غزير لديهم ؟ » ان الكهرباء تولّدها ماكنات مخصوصة تدعى « دينامو » (dynamo) للمجرى المستمرّ و « ألترناتور » (alternateur) للمجرى المتناوب . واستعمال الماء متوقف فقط على ادارتها بواسطة الدوّامة كما يُدير الدولاب حجر الطاحون . ولا تصلح مياه البحر لتوليد الكهرباء ليس لانها مالحة ، بل لان لا قوّة لها لتحريك الدوّامة . كذلك الانهر الجارية في السهول كالليطاني مثلاً في البقاع . انما في تلك الحال يُستعاضُ عن علوّ الانحدار بغزارة الماء فيبنون سدّاً في مجرى النهر وامامه المركز الكهربائي . ومن امثال ذلك مركز موزاك (Mauzac) على نهر الدُردون

في فرنسة ، وفيه ست ١٠ اكنات قوة كل واحدة منها ٢٧٠٠ حصان . أمّا علوّ الماء فاربعة امتار فقط . ومن زار مدينة جنيف في سويسرا رأى ، على نهر الرون ، بنايةً قديمة الصنع ، فيها عددٌ كبير من المحركات المائية تُديرها المياه الجارية . وهذه المحركات تدير مضخّات مخصوصة لرفع مياه الشرب الى أنحاء البلدة .



رسم ٤ – منظر لمركز كهربائي . تُرى في اعلاه انابيب الماء الداخلة على الدوّامة

المولدات الكهربائية

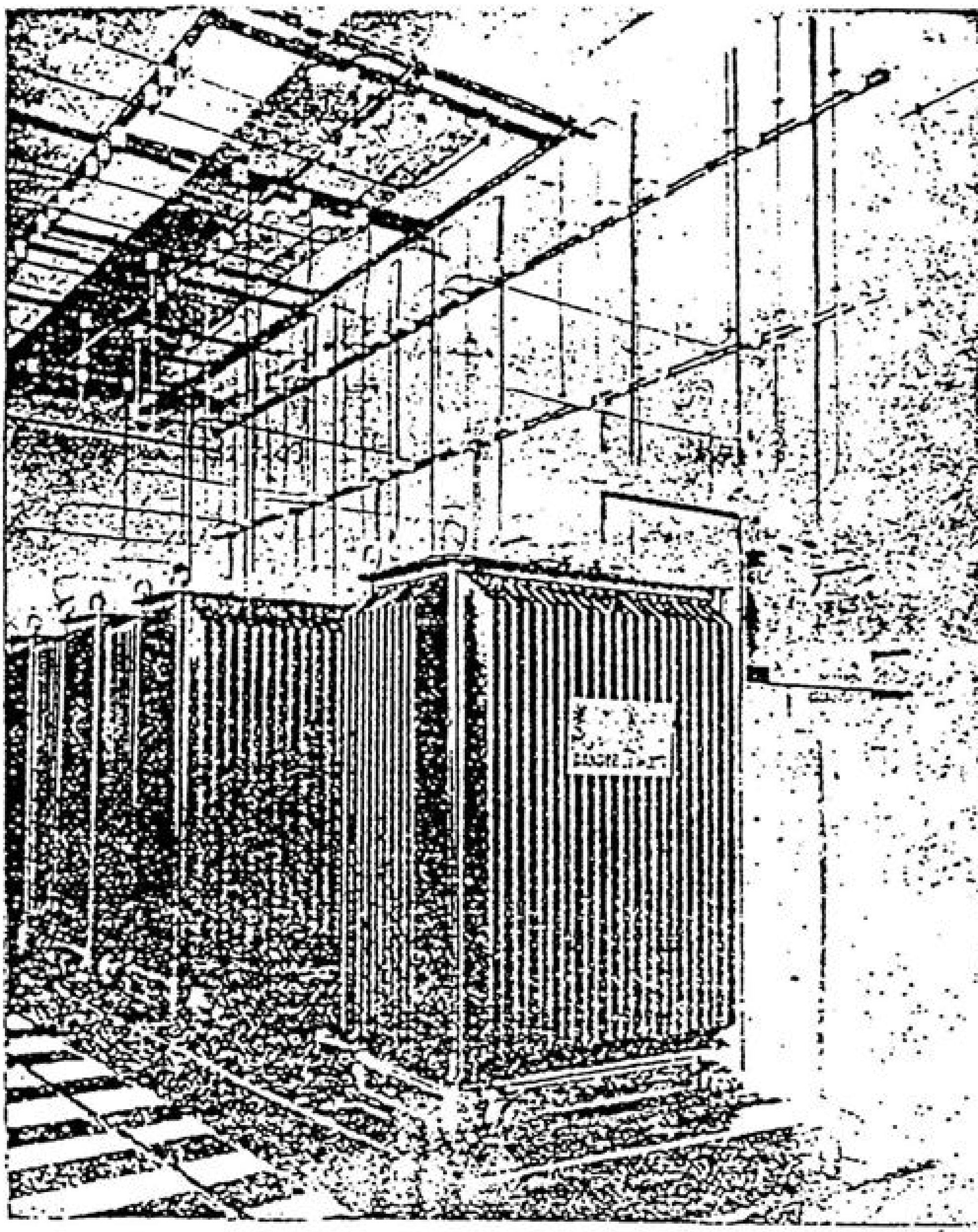
ان المولّدات الكهربائية على نوعين منها ما تولّد المجرى المستمرّ وتدعى دينامو (dynamos) ومنها ما تعطي المجرى المتناوب وتسمى (alternateurs) كما ذكرناه (١ والمجرى المتناوب هو ما كان ذا تكرار ، اي ما يتلاشى ثم يقوى، ثم يتلاشى بانعكاس القطبين وذلك مرّاتٍ في الثانية . وقد اتفقوا اليوم في اوربة على التكرار ٥٠ دفعة ، وفي اميركة ٦٠ دفعة في الثانية . ولا يجوز للتنوير استعمال تكرار اقل من ٢٥ دفعة خوفاً من ارتجاف النور وازعاج النظر . فلو كان التكرار ذا دفعة واحدة او اثنتين لرأينا القنديل الكهربائي يُضيء ثم ينطفي ثم يضيء. وذلك مرتين او اربع مرّات في الثانية. اما بكثرة التكرار يصعب على شبكية العين التمييز بين ادوار التلاشي وادوار الظهور ، فيبين لها النور متساوياً

ويولّد ، في بيروت ، المجرى المتناوب بتكرار ٥٠ دفعة للنور ، والمجرى المستمرّ بتوتّر ٦٠٠ ڤولت للجرّ

ومما عمّم استعمال المجرى المتناوب هو سهولة تحويله من توتّر الى توتّر بواسطة المحوّلات (transformateurs) ، وفي الصفحة المقابلة صورة لعدّة منها، ونقله الى مسافاتٍ بعيدة باسلاك دقيقة كما نبينه بعد حين. امّا المجرى المستمرّ فلا يزال مستعملاً في احوالٍ عديدة لا يحل فيها محلّه المجرى المتناوب كمثل التلبيس بواسطة الكهرباء او (galvanoplastie) وملء خزّانات الكهرباء (accumulateurs) وتدعوها العامة «بطاريات» وهي غير البطاريات المعروفة لقناديل الجيب، والتلفون، والاجراس . فهذه اذا فرغت لا تُجدَّد او تجدد بملح الامونيوم او النشادر؛ وتلك تتميّز بان يجري فيها تيّار كهربائي مستمر، فهي خزين بكل معنى الكلمة . ولا يزال المجرى المستمرّ يستعمل للجرّ كالترامواي ، والقطارات الكهربائية ، نظراً لمرونة المحركات بالمجرى المستمر بتحقيقها سرعات مختلفة . اما المحركات بالمجرى المتناوب فتكون غالباً ذات سرعة واحدة .

---

١) ومن المولّدات ايضاً ما تعطي المجرى المستمر والمجرى المتناوب في وقت واحد وتدعى بالافرنسية (générateurs polymorphiques) . اما استعمالها فنادر



(رسم ٥ : — منظر المحولات الكهربائية وهي تحوّل المجرى المتناوب من توتّر الى توتّر اقوى او اضعف)

وفي المشاريع التي نحن في صددها تستعمل مولّدات المجرى المتناوب وهي تديرها محرّكات الماء او الدوّامات . والسرعة المعوّل عليها تتراوح بين السمائة دورة في الدقيقة للماكنات الضخمة ، والثلاث آلاف للماكنات الصغيرة . انما يستعملون غالباً سرعة الف دورة . ومن المهمّ تنظيم هذه السرعة دفعاً لارتجاف النور ، اذا استعملت الكهرباء للانارة ، فيعمد اذ ذاك الى التيّار وهو دولاب ضخم (volant) ، والى منظّم (régulateur) يسد او يفتح مجرى الماء في الدوّامة من تلقاء ذاته حسب السرعة .

(للبحث صلة)

أتاء أم هاء ؟

علامة التأنيث في اللغات الساميّة

بقلم حضرة الاب ا٠س٠ مرمرجي الدومنيكي
من اساتذة المعهد الكتابي والاثري الفرنسي في القدس الشريف

دونك ايها القارئ اللبيب مثالًا حسيًّا يريك فضل « الأَلسُنيَّة » او المقابلة الالسنيَّة (Philologie comparée) مطبقة مبادئها على نقطة مهمة في اللغات الساميَّة ، ومفيدة لدراسة النطق البشري او «النُطقيَّة» (Linguistique ou science du langage) ألا وهي مسألة علامة التأنيث.

في اصل علامة التأنيث آراء متضاربة ، لا بل متنازعة. منها القول الآتي : « ان حروف التأنيث الموجودة في اللغة العربيَّة هي أثر كلمة كانت تقوم مقامها ، ثم استغني عنها استغناء من يكتفي بالاثر عن الاصل. وهذه الحروف مقطوعة عن كلمة واحدة هي « أنثى ». فقولك « اديبة » اصلها : « اديب انثى » فاستغنوا بالتاء او بالهاء عن بقيَّة اللفظ. وقولنا « صفراء » معناه : « اصفر انثى » قالوا في اول الامر « أصفراء » ثم كرهوا ان تكون همزتان في اللفظة الواحدة ، فحذفوا الاولى ، وابقوا الثانية التي في الآخر لتقابل الهاء او التاء في سائر الالفاظ. وكذا القول في « الكبرى » فان اصلها : « الاكبرا » فتصرفوا فيها تصرفهم في الصفراء » انتهى.

وهناك قول آخر ، هذا ملخصهُ : « هاء التأنيث والوحدة محوَّلة في الاصل عن ضمير الغائب المفرد مذكرًا ومؤنثًا ... والبحث الفلولوجي يُستدلّ منه دلالة واضحة قطعية على انها ضمير الغائبة ، اذا كانت لتأنيث الصفة ؛ وهاء ضمير الغائب او الغائبة ، اذا كانت للوحدة . بيان ذلك : أُلحق بوزن ضمير

الغائبة « هي » فيصير المركب « مؤمن هي ، او مومنهي » ومع الايام ، وبدافع الطبع ، للاختصار ، وحسن اللفظ مع السهولة المتوخاة في اللغة ، يتحوّل المركَّب على الالسنة الى « مؤمنا ، او مؤمني » او الى ما تولّده الإمالة من التوسّط بين اخلاص الفتح ، واخلاص الكسر . قس على « مؤمنهي » ، « حام هي » او « حام هو » ... ولا يخفى ان ياء « رومي ، زنجي ، عربي » وامثالها هي وهاء الوحدة شيء واحد ايضاً ... وهاء التأنيث هذه هي اذن هاء الغيبة . وتسهيلاً للفظ ، ومنعاً من اللبس ، تقلب تاء اذا اضيفت او تحركت في الدرج . وهي ليست ، كما يظن البعض ، تاء هجاء اجتلبت للتأنيث اعتباطاً ، ثم هي تقلب هاء عند الوقف . » انتهى

وانت ترى ان اصحاب كلٍّ من هذين الرأيين في واد عميق . واما اقطاب « الألسنيين : Les philologues comparatistes » « والنطقيين : Les linguistes » فرأيهم ان امثال هذه النظريات — مع ما يظهر عليها من مسحة الاحتيال — لوعرة المسلك ، لا تتعدّى حيز التكهُّن .

على انك ، فضلاً عن هذا ، قد لحظت ان هذين القولين ، وان اختلفا في اصل علامة التأنيث ، الّا انهما متفقان او يكادان يتفقان في ماهيتها . اذ ان الثاني لا يسمّيها الّا « هاء التأنيث » والاول يدعوها « تاء او هاء التأنيث » واما نحن فنقصد ان نحصر البحث في طور نجد فيه للّغات آثاراً شاهدة ، نستخلص منها براهين غير قائمة على جرف هار ، نجعل محور المقال يدور ، لا على اصل علامة التأنيث ، بل على حقيقتها وماهيتها ؛ لا في اللغة العربية وحسب ، بل في جميع الالسنة السامية . ولتسهيل العمل ، نرى من اللازم ان نتقصّى اثر هذه العلامة في لسان لسان من ألسن بني سام ، وعند ذلك يتبين ما يمكننا بسطه من الادلة المثبتة ارجحية التاء ام الهاء .

هذا وغير خافٍ على من له المام « بالألسنية السامية » ان اشهر واهم لغات هذه الطائفة هي العربية ، والعبرية ، والارمية ، والحبشية ، والاكّدية . الّا اننا عند البحث ، ناخذ بطرق باب اعرقها قدماً ، لا من حيث الاصول اللغوية ، بل من جهة الآثار الادبية ؛ اذ لا مشاحة في ان للاكّدية حق التقدّم ، في ذا

الشأن ، على اخواتها ؛ تليها العبرية ، فالارمية ، فالحبشية ، فالعربية ، التي يظهر انها ، من حيث التمسك بالقديم ، اولاهنّ واشبههنّ بالاصل(١ .

* * *

علامة التأنيث في الاكدية

في الاكّدية شقّان : مذكر ومؤنث . واما الجامدات ، والاسماء المعنوية ، فتُستعمل لما المؤنث ؛ وعلامته هي «أتو ، وأُوتُو» مثلاً: «كِبِرتو »=الكلية. «شَرُوتُو »=الملك. واذا دخلت هذه العلامة على الاسم او الصفة ، تسقط حركة الحرف الثاني مثلاً : « كَلاَبُو »=كلب. « كَلْبَتُو»=كلبة . او ان حركتها تضمحل، فتصبح هي « تُو» اذا بقيت حركة الحرف الثاني .مثلاً : « رَپْشُو »=واسع ، « رَپْشَتُو »=واسعة . « شَپْلُو » = سافل ، « شَپلِتُو » = سافلة . « مَخْرُو » = مقابل ، « مَخْرِيتُو » = مقابلة .

وعلامة التأنيث في الجمع هي التاء ايضاً ، كما في المفرد . والمفردات المنتهية بـ « أتو ، وإيتُو » تجمع بـ « آتي وآتِي ، âté et âti » نحو « كَلْبَتُو » تُجمع « كَلْبَاتي Kalbâté » ، « رَپْشَتُو » تُجمع « رَپْشَاتي Rapśâté » ، شَپْلِتُو « شَپْلاتي Śaplâté » .

---

١) لَيشُقّ على حبّنا لاوطاننا العزيزة ان نرى بعض الادباء – وحاشانا من التعميم : فان هناك علماء اجلاء ، يتشرّفون بالعلم ، ويشرّفونه ؛ وهم حجة بسعة معارفهم ، وقدوة برفيع شأنهم – اجل ! ليشقّ علينا ان نجد بعض حملة الاقلام ، المتفرغين للآداب العربية ، يحطون من قدر علمهم ومقامهم ، بخلة شائنة لسمتهم ، الا وهي عدم مراعاتهم « للآداب الاجتماعية . » فانك ، ان دافعت عن رأيك ، خلافاً لرأيهم ، وجادلتهم جدالاً علمياً ، مطابقاً لاصول المناظرة وشبماً بروح التجلة والمجاملة ؛ فلا تشاهدهم يقفون تجاهك ، مقابلين لطفك بلطف ، وادلتك بادلّة ؛ بل يهاجمونك من الوراء ، شأن الجبناء ، ويطعنونك ، شأن ضعفاء الحجة ، بسلاح « الخشونة ، والاهانة . » ولذا ، فصيانةً لشرف العلم ، من الامتهان ، في ذا الميدان ، الذي نجل قلمنا عن مجاراة قلمهم فيه ، ترانا مع احترامنا لذوي الاقدار ، وافقونا في الرأي ام خالفونا ، نعدل عن طريقة الجدل المألوفة ، ونجتزئ عند البحث ، اثباتاً لقضيّة ، او دفاعاً عن نظرية ، بسط البراهين ، متحاشين عن ذكر الاشخاص ؛ اللهم الآ من نتوسّم فيهم ، لدى المجادلة ، سلامة الذوق ، ورحابة الصدر ، وكرامة الشيم ، مقرونة بنزارة المادّة العلمية .

علامة التأنيث في العبرية

ليس في العبرية ، كما في اخواتها السامية ، الا شقّان : المذكّر ، والمؤنّث . وللجامدات ، والاسماء المعنوية يُستعمل إما المذكر واما المؤنث . واشق المؤنث ، في العبرية الحالية ، علامتان ، هما اكثر شيوعاً من غيرهما : اي التاء والهاء ، في الاسماء والصفات . نحو « طوبا » من « طوب » ومعناها صالحة ، من صُلُح . « عَلمَه من علم ‏‏‏ʿêlêm » = غلام

الّا ان اهم هاتين العلامتين ، والفارقة في القدم ، لا بل الوحيدة في سالف الادهار ، هي « التاء » ودونك طريقة استعمالها ، في يومنا هذا :

١ً تثبت في كثير من الاسماء المنتهية بحركة ، نحو « يهودي ، يهوديت » اي يهوديّ ، يهودية

٢ً في عدد وافر من الاسماء المنتهية بحرف صائت (voyelle) . واذ ذاك يلين اللفظ بادخال حركة بين الحرف الاخير ، وعلامة التأنيث ، وهي الفتحة اذا كان الحرف حلقياً ، والربصة او الإمالة ، اذا كان غيره : نحو « روحَيم ، Rôḥêm ، روخَمَت Rôḥmat » اي مُحِبّ ، مُحبّة . « قوطَل ، Qôṭel ، قوطَلَت Qôṭêlet » = قاتِل ، قاتلة

٣ً في الغالب ، تسبق هذه التاء فتحة تجاب النبرة اليها . وتجد هذه التاء في بعض اسماء الجنس . نحو : « بَرقَت » = زمرد . وكثيرًا ما تشبع الفتحة السابقة لهذه التاء . نحو : « مخاروت ، Maḥarôt » = صباح

٤ً بيد ان هذه التاء تظهر ، اجلى ظهور ، في الاضافة ، اعني حين اتصالها بالاسم التابع ، نحو : « مَلكَه = مَلِكَة » . « مَلكَت شبا = ملكة سبأ »

٥ً اما الاسماء المطلقة فقد تضاءل فيها ظهور هذه التاء ، رويدًا رويدًا ، الى ان اضمحلت . وبقيت طويلة الفتحة السابقة لها ، واضحت مفتوحة المقطع ؛ ودلالةً على هذا الفتح المشبع ، استعملت لها « الهاء » كعلامةٍ كتابيّة

* * *

علامة التأنيث في الارمية او السريانية

في الارميــة مذكر ومؤنث ؛ ويستخدم كل منها ايضاً للجامدات ، والمعنويات . ومن الاسماء ما يستوي فيــه المذكر والمؤنث ، ومنها ما هو مؤنث دون علامة ، في المفرد ، والجمع

اما علامة التأنيث فهي، على وجه الاطلاق ، « التاء » الزائدة . نحو « مَلكا ، مَلكتا » اي ملك ، ملكة . « كَلبا ، كَلبتا ، كَلبا تا » = كلب ، كلبة ، كلبات . وتبقى تاء التأنيث ، في الاسم المطلق ، نحو « مَلكتا » ؛ وفي جزم الاضافة ، مثلاً : « شاعَتْ مَوتا » = ساعة الموت . واما جزم التنكير ، فتُحذف فيه التاء ، وتبقى الالف . نحو « مِلتا ، مِلا » = كلمة ؛ « شَعتا ، شاعا » = ساعة

* * *

علامة التأنيث في الحبشية

في هذه اللغة ثلاثة اجناس : المذكر ، والمؤنث ، والمشترك . ويعرف الجنس عادةً من معنى اللفظة . وعلامة التأنيث هي « التــاء » الساكنة ، يتبعها فتحة قصيــرة ؛ الا ان استعمالها ليس بثابت ، وله شذوذ كثيرة . وكذا الشان في الصفات ، فان علامة تأنيثها « التاء » في جميع الصيغ او تكاد . وهــاك بعض الامثلة على ذلك :

	مذكّر	مؤنّث
صفــة :	شَناي (Sanáy) = جميل ، سني	شَناوت (Śanâwêt) = سنية
اسم فاعل :	نَكَاشي (Nagáśê) = مالك	نَكَاشيت (Nagáśêt) = مالكة
اسم مفعول :	كَبُوري (Gebûrê) = مصنوع	كَبَرَيت (Gebêrêt) = مصنوعة

* * *

علامة التأنيث في العربية

في العربية شيئان : المذكر والمؤنث ؛ وأما الاسماء الجامدة ، والمعنوية ، فتلحق بالمذكر ، او بالمؤنث سماعاً : وفيها المؤنث بالمعنى ، والمؤنث بالعلامة . وعلامة التأنيث المستعملة اكثر من غيرها هي « التــاء » ، ويلحقوا الالف الممدودة ،

والالف المقصورة ؛ وهما قليلتا الورود . ودونك مـا جاء في كتاب ابن عقيل لالفية ابن مالك ، في ذا الشأن ، لتقف على حقيقة الأمر :

« علامةُ التـأنيث تاءٌ او ألفْ ، وفي اسامٍ قدّروا التا ، كالكتف »

«اصل الاسم ان يكونَ مذكرًا ، والتأنيث فرع عن التـذكير . ولكون التذكير هو الاصل ، استغنى الاسم المذكّر عن علامة تدلّ على التذكير . ولكون التأنيث فرعاً عن التذكير ، افتقر الى علامة تدلّ عليه ، وهي «التاء» والالف المقصورة او الممدودة . «والتاء» اكثر استعمالًا من الالف ؛ ولذلك قُدّرت في بعض الاسماء ، كعين ، وكتف . ويستدل على تأنيثها بالضمير العائد اليها ؛ نحو الكتف نهشتُها ، والعين كحلتُها . »

« في الوقف تا تأنيثِ الاسم ها جُعلْ ان لم يكن بساكنٍ صحّ وُصِلْ »

« اذا وقف على ما فيه تاء التأنيث ؛ فان كان فعلًا ، وقف عليه بالتاء ؛ نحو هند قامتْ ؛ وان كان اسماً ، فان كان مفردًا ، فلا يخلو إما ان يكون ما قبلها ساكناً صحيحاً ، اوَ لا ؛ فان كان ما قبلها ساكناً صحيحاً ، وقف عليها بالتاء ؛ نحو بنتْ ، واختْ ؛ واذا كان غير ذلـك ، وقف عليها بالهاء ، نحو فاطمه . وان كان جمعاً او شبهه وُقف عليه بالتاء نحو هنداتْ ، وهيهاتْ . وقل الوقف على المفرد بالتاء ؛ نحو : فاطمت ، وعلى جمع التصحيح وشبهه بالهاء ؛ نحو : هنداه وهيهاه . » انتهى

وقال سيبويه : « تاء التأنيث تدخل على المصادر المجرّدة وذوات الزوائد ، دخولًا مطردًا ؛ فهي تدلّ على المرة ، كضربة ، واجتماعة . واذا لحقت تاء التأنيث آخر الفعل ، كتبت بصورتها ، كضربتْ ، ويقال لها المبسوطة . واذا لحقت آخر الاسم ، فان كان مفردًا ، كتبت هاء منقوطة ، كضاربة ؛ ويقال لها المربوطة . وان كان جمعاً ، فان كان سالمًا ، كتبت مبسوطة ، كضاربات ؛ وان كان مكسورًا ، كتبت مربوطة ، كقضاة . » انتهى

✲ ✲ ✲

تحقيقات السنية

بعد ان استمددنا من المصادر النحوية ، لجميع اللغات السامية ، ما به تمكنا من استطلاع كنه البحث ، يجدر بنا الآن ان نلخص بقولنا ان علامة التأنيث في هذه اللغات هي «التاء» وان كان في بعضها ، مع هذه التاء ، غير علامة . على ان التاء هي الوحيدة في الحبشية ، والاكدية ، دون غيرها من العلامات . ونحن اذا توغلنا في الفحص والاستقصاء ، رأينا ان العلامة الاصلية هي «التاء» حتى في الالسنة التي فيها غير التاء من العلامات . واثبت برهان لذلك نستخرجه من الاكدية العريقة آثارها الادبية ، والتي نجد في طريقة كتابتها المسمارية المقطعية ، افضل وسيلة للوقوف على حالة اللغة في الازمان القاصية عنا قروناً تمدّ بالعشرات. وزيادة في الايضاح نعلمك ان الاكدية ، كالعربية الفصحى ، لغة معربة. وغير خاف عليك ان الاعراب او تحريك الحرف الاخير من الكلمة يلحق اواخر الاسماء والصفات ، الا اذا كانت مضافة . هذا في اللسان الاكدي ، خلافاً للعربي القرشي ؛ فان الاعراب يثبت فيه حتى اذا كان الاسم او الصفة مضافة . وحركات الاعراب ثلاث ، وهي الحركات السامية الاصلية ، اي الضم ، والفتح ، والكسر . فالضم يدلّ على الرفع ، والفتح على النصب ، والكسر على الخفض . وهذا الاعراب جارٍ في الكتابة العربية على طريقتين : اعراب بالحروف ، وهو قليل ؛ واعراب بالحركات ، اي بالعلامات غير الداخلة في مادّة الكلمة ، وهو كثير ؛ وله قواعد مطردة ، لا تختل الا ما ندر من الشذوذ . اما في اللغة الاكدية ، فهو مَقطَعيّ ، طبقاً لطبيعة الخط المسماري القائم على العلامات المتكوّن من كل منها مقطع . فالحركة الاعرابية متضمنة في المقطع الاخير من اللفظة ، المؤلفة من حرف وحركة ، او من حرف محرك وحرف ساكن . وللكتابة المسمارية وآثارها ، في هذا الصدد ، فضل عظيم على بقية الكتابات والآثار السامية الابجدية ، الخالية من الحركات ، اللهمّ الا الحبشية — ويكاد يُطلق ذلك على المندائية — القائمة على «ابجدية مقطعية» اي ان كل حرف من حروف هجائها متصلة به حركة من الحركات السبع المستعملة

في هذه اللغة . على ان الكتابة الحبشية ، مع ما فيها من هذه الحسنات ، لحديثة العهد ، وان هي الّا وليدة الخط السبئي ، وليست بخط رقمي (écriture épigraphique)

هذا وعلى حين نرى الإعرابَ في العربية ، سواء كان بالحروف ام بالحركات مطرد القواعد ، منتظم الاصول ، مقبولًا نظرياً ، معمولًا به فعلًا ، تعتبر مخالفته غلطاً فاحشاً ، في الكلام والكتابة ؛ نجد ، بعكس ذلك ، الإعراب في الاكدية — مهما عرقت في القدم آثارها ، حتى اذا صعدنا عدة الاف من السنين — فاننا نشاهده مضطرباً ، مختلفاً ، يكاد يخلو من ضابط. وبفعل هذا الاختلال نرى الفتح مستعملًا بدل الضمّ ، والكسر عوض الفتح . الّا انه مهما يكن من هذا الاضطراب ، اضطراب احوال الإعراب ، في مختلف عصور اللغة الاكدية ، فاننا نلاحظ امرًا وهو ان الاعراب يبطل في حالة الاضافة ، فيُفقد الكلمة حركتها النهائية . مثال ذلك الالفاظ الآتية اعراباً ، واضافةً : «أيبلو»=ابن ؛ «شَرُّو»=مَلك ؛ «ماَتو»=بلد ؛ هذا لفظها اعراباً ، فتضحي عند الاضافة ، بفعل حذف علامة الرفع منها ، وهي «أو» واسكان الحرف الاخير ، «أيبلْ شَرْ ماَتْ شور» . ومعربها : ابنُ ملكِ بلدِ أشور

على ان النقطة الجوهرية المهمة في بحثنا هي ان الكلمة المنتهية بالتاء ، تاء التأنيث ، اذا فقدت حركتها الاخيرة ، بموجب قاعدة الاضافة ، فتاؤها تبقى ساكنة ، ولا تحذف ، او تتحول الى غير حرف. مثال ذلك : «شَرُّوتُو»= مُلك او مملكة ؛ فاذا اضفتها الى بلد أشور ، قلتَ : «شَرُّوتْ ماتْ أشور» اعني : مملكةُ بلد اشور . «ايكَلُّو شُوبَتْ شَرُّوتيشو . Ekallu Šûbat Šarrutišu) = القصرُ مقرّ مُلكِه» . ومن هذا كله يظهر ، ظهور الشمس في رائعة النهار ، ان «التاء» هي ، دون غيرها ، علامة التأنيث ، في اللغة الاكدية ، اعني منذ نحو ستة الاف سنة ، وهو اقدم اعصر التاريخ القديم

على اننا نرى في العبرية ، والارمية ، والعربية ، بجانب «التاء» الكثيرة الاستعمال ، علامات اخرى للتأنيث ، وهي الهاء ، والالف الممدودة ، والالف المقصورة . فما داعي ذلك ؟ قبل الجواب عليه ، نسرد لك كلمة في خصوص

مادة لغوية ، وهي ما يدعى « بالحركات المشبعة » ، او « علامات الكتابة » ، او ، كما يقول العبريون ، «امهات القراءة»

فاعلم ، حرسك الله ، ان الابجدية السامية لا تقوم سوى على الحروف الصامتة (consonnes) ، او ما نسميه حروفاً ، على وجه الاطلاق ؛ اي انها خالية من الحروف الصائتة او الحركات . وقد سبق التبيان ان الحركات السامية الاصلية ليست الا ثلاثاً وهي الضم ، والفتح ، والكسر . على ان في هذه الطائفة من اللغات ، كما هو الشان في اللغات عامة ، يوجد حركات مدغمة (diphtongues) وهي ما تركب من الفتح والواو ، والفتح والياء ، كقولك ، في العربية ، « لَوْ ، كَيْ » غير انه بفعل سنة طلب الخفة ، قد كسرت حدة هذه الحركة المدغمة ، فنتج عنها حركتان فرعيتان ، وهما ما يدعى في الارمية « الزلام ، والرواح » وفي العبرية « شُغول ، وخولِم » وفي العربية « التفخيم ، والامالة » وفي الفرنجية يقابلهما حرفا (o و ê)

واذ كانت قد اخذت المدغمات تلفظ ، بتوالي الازمان ، كالممدودات ، اعتبرت الواو والياء ، في مثل هذه الحال ، لا كحرف هجائي ، او صامت (consonne) ، بل كعلامة كتابية ، او قل كحرف قائم مقام الحركة الناتجة من ادغام الحركتين المزدوجتين . وهذا كان الداعي الاولي لاستعمال بعض الحروف الابجدية كعلامات للحركات ، او وسائل للقراءة ؛ مما كان في امكان الناس ان يستخدموا غيره من العلامات ، غير الشبيهة بهذه ، دون تأثير في الكلام ، او في الكتابة ؛ كما صنعوا بعد ذلك ، عند استنباطهم النقط والحركات . واذ كان هذان الحرفان غير كافيين للدلالة ، كتابةً ، على الحركات الطويلة ، عمدَ القومُ ، تدريجاً ، الى حرفين آخرين ، وهما « الالف ، والهاء » . واما اختيار هذه الاحرف ، دون غيرها ، لتلك الغاية ، فذلك لما هي عليه من الليونة ، والابهام في الصوت ، مما جعلها قريبة من الحركات . على ان كلّاً من هذه الاحرف استُعمل لاشباع حركات متعددة . فالواو تُكتب للدلالة على الضم المشبع ، والتفخيم الطويل ، سواء كان ذلك في وسط الكلمة او في آخرها . والياء تُتخذ لكتابة الكسر المشبع ، والامالة الطويلة . اما الهاء ، فاذ كان

لفظها حلقياً ، وكان الحلقي ميالاً الى الفتح ، في كل اللغات السامية ، لستعملت للفتح الطويل ، وللتفخيم المطلق ثم للتفخيم الناجم عن الفتح المشبع . وفضلا عن هذا تدلّ الهاء ، احياناً ، على اشباع الامالة. اما الالف ، فاذ كانت هي والهاء من مخرج واحد ، اي حلقية ، أستُعملتْ لما أستُعملت له الهاء عينها

وهذه الطريقة ، طريقة اتخاذ بعض الحروف الهجائية بمنزلة علامات الكتابة او امهات للقراءة ، فقد كانت اكثر شيوعاً عند السريان منها عند العبريين ، ودخلت بعدهم عند العرب. الّا ان استعمالها في الرقم المؤرّخة حول صدر التاريخ الميلادي هو اقل شيوعاً مما في المخطوطات السريانية . اما الكتابة التدمرية (القرن الاول للميلاد) فالحركات القصيرة لا تكاد تذكر فيها. وهذه الحروف المستعملة علاماتٍ وصلت الى تطوّرها الاخير في القرن الخامس ، وهو اقدم عهد تصل اليه المخطوطات . ومنذ ذاك القرن شرع القوم في اتخاذ النقط دون اهمال الحروف

فاذا عرفت هذا نقول : ان «التاء» كانت شائعة في العبرية كعلامة خاصة للتأنيث ، ويجدر بنا القول انها كانت العلامة الوحيدة . اما اليوم فنرى ، في هذه اللغة ، ان الاسماء المطلقة تؤنث بهاء . فما هذه الهاء ؟ وما هو مسوّغ استعمالها ؟ فعلى هذا نجيب انه ظهر لك ان هذه الحروف اللينة اي الالف ، والواو ، والياء ، والهاء ، اصلها حروف هجاء ، فاستعملت علامات للحركات . فالهاء اذن هاءان : هاء حرفٌ ، وهاء ليست بحرف . وللتمييز بينهما قد استعمل العبريون نقطة يضعونها في وسط الهاء تدل على كونها حرفاً صامتاً ، وتلفظ لفظها الطبيعي . وهذه النقطة تدعى في نحوهم «مَپيق» اي المُخرِج لفظ الهاء . واما الهاء غير المنقطة فليست سوى علامة لاشباع الفتح . ولذا يجب ان تعلم ان الاسماء المطلقة في العبرية لم تكن الّا التاء علامة لمؤنثها .. الّا انها قد تضاءل لفظها شيئاً فشيئاً ، كما رأينا ، فحذفت . واذ كانت الحركة السابقة لها فتحة مشبعة ، استعملت بعدها الهاء ، لا كحرف هجاء ، بل كعلامة كتابية .

فمن هنا يظهر خطأ الراي القائل بان الهاء مع الفتحة المشبعة هي العلامة الاصلية للمؤنث في العبرية ، وان التاء مع الفتحة السابقة صادرة عنها . ولك مثال على

ذهاب لفظ التاء النهائية في غير اللغات السامية كالفرنسية ، فانك ترى ذلك محققاً في الكلمات التالية : (candidat, mandat, contrat, apparat) واصلها من الالفاظ اللاتينية (candidatus, mandatum, contractum, apparatus)

اما الارمية ، فانا نجد فيها التاء علامة عامة للتأنيث ، الا في جزم التنكير ، فان الكلمة المؤنثة تنتهي فيه بالالف . بيد ان هذه الالف ، كالهاء العبرية المذكورة اعلاه ، ليست علامة التأنيث . لان العلامة الحقيقية للتأنيث ، وهي التاء ، قد حذفت ، كما حذفت التاء في العبرية . وما الالف هنا الا علامة لاشباع الحركة . وقد ظهر لك ذلك من المثال المورد آنفاً وهو «ملتا» بلا = كلمة

بقي علينا النظر فيما نجده في اللغة العربية ، مما دعاه النحاة ، قديماً وحديثاً ، «هاء التأنيث» فهل هذه الهاء هي حقيقةً هاء التأنيث ؟ رأينا من كلام سيبويه وابن مالك ، وابن عقيل ، ان العلامة الخاصة هي «التاء» وانها عند الوقف تُكتب بصورة الهاء ، في الالفاظ المفردة لا غير . والحقيقة انها تبقى تاء غير ملفوظة . واذ كانت التاء المربوطة ، قبل اختراع الاعجام شبيهةً ، كتابةً ، بالهاء ، دعوها من باب المماثلة الصورية «هاء» لكنها ليست بشيء من الهاء . فلا يسوغ اذن ، من باب التدقيق ، ان تدعى «هاء التأنيث» اذ ليست في العربية كما في اللغات السامية جميعها «هاء التأنيث» . واذا كان الامر كذلك ظهر ان الصواب في العربية في جانب البصريين ومن تابعهم ، خلافاً للكوفيين ، اي ان «التاء هي الاصل في التأنيث»

بعد هذا الذي سبق من مقدمات ، وتحقيقات ، ونتائج ، مستندة الى اصول «الألسُنية السامية» يليق بنا ان نجيب على السؤال الذي عنونّا به مقالنا وهو : «أتاء ام هاء ؟» فنقول : «تاء ، ولا هاء» ، علامة التأنيث الاصلية ، القديمة ، في الالسنة السامية قاطبة ، ومن ثم في اللغة السامية الام ، مصدر هذه اللغات الاخوات» وبذلك نظن ان قد ثبت صدق كلامنا عن فضل «الالسنة السامية» وفوائدها الجمة العائدة على كل من هذه اللغات ، ولاسيما على العربية

وهنا ندع القارئ ان كان من اهل الاختصاص ، يحكم في الآراء التي وقف عليها في هذا البحث ، والسلام على من اتبع الهدى

هيّا على درس تاريخ بلادنا

بقلم الاب لامنس اليسوعي

نشر كاتب هذه السطور، تحت هذا العنوان، في اول سنة المشرق (١ نداء دعا به قراء المجلة من لبنانيين وسوريين الى درس تاريخ البلاد. وهـا قد مضت ثلاثون سنة على ذاك النداء. على ان ادارة المجلّة، بيما كانت تنتظر سماع صدى له، رأت من المفيد ان تشجع القوم بمثلها في الابحاث التاريخية، فاهتمّ محرّروها بالامر؛ وكان في مقدّمتهم مؤسسها المأسوف عليه المرحوم الاب لويس شيخو. وقد اشرنا الى ذلك في المقالين اللذين خصصناهما بقسم ضئيل من اعماله العلمية، ونشرناهما في عددي شباط واذار من هذه السنة. ولم يلبث معاونوه ان اقتفوا اثاره المجيدة حتى انه يصعب علينا ذكر عدد من المشرق خلا من بحث في ماضي سورية ولبنان، وتاريخها الديني والمدني والاثري والفني، وآدابها، ولغاتها القديمة والحديثة.

وليس الذنب ذنبنا ان لم يمكننا تحقيق المشروع منذ ذاك العهد بتأليف تاريخ مستوفٍ لسورية. فان الاستبداد التركي كان يحول بيننا وبين هذا التحقيق، ذاك الاستبداد الذي لم يكن يسمح المشرق ان يذكر اسم "الامويين". فلزم اذن حدوث الحرب العامّة وما جرّته من الانقلابات، وسقوط السيطرة التركية، حتى امكننا ان ننشر سنة ١٩٢١، تاريخنا لسورية.

وقد أبنتُ، في النداء الذي دعوت به منذ ثلاثين سنة، تقدّم الدروس التاريخية بفضل اختيار المصادر والتقيّد الدقيق بها، ودرس الوثائق التي يستخدمها المؤرخون ويستندون اليها. ثم اقترحت انشاء جمعية للتاريخ، ونشرت رسماً لبيان اعمال هذه الجمعية، وحدّدت غايتها. ومنذ ظهور هذا الرسم شاهدت

(١) المشرق ١ [١٨٩٨]: ٢٦١

بلاد سورية ولبنان كثيراً من الجمعيات المختلفة الغايات والمقاصد : شركات تجارية ، جمعيات لتعزيز سباقات الخيل ، اندية رياضية ، الى غير ذلك من الجمعيات المتباينة . اما التاريخ فلا يزال ينتظر دوره . كما لو كان التاريخ نوعاً من الترف يجدر بالشعوب الغنية وحدها ان تهتم به . وكما لو كانت الوطنية تثبت وتحيا الّا بتفهم ماضي البلاد ودرسها.

ولم يفت صاحب النداء ما في بلادنا من العقبات ، فتدبّر بالروية حالة الزمان والمكان. فلم يجازف بالآمال والاحلام ، ولم يرغب في منافسة الجمعيات العلمية الكبيرة في اوربة ، بل حدّد افق رغباته على حاجة البلاد وقال:

« ويا حبذا لو قام في كل طائفة جمعية غايتها درس التاريخ الطائفي . فيكون رئيسها الشرفي بطريرك الملة ، وهو يعيّن لها رئيساً عاملاً احد الاساقفة، او رجلاً من اعيان الطائفة له المام بالدروس التاريخية . فتتألف الجمعية من اعضاء مشتركين وعاملين ، وكلهم يدفعون راتباً معيّناً لسدّ نفقاتها . وتطبع في كل سنة نشرةً حاوية خلاصة اعمالها في سبيل غايتها.

ثم ذكر عشر موادّ تحدّد في نظره اعمال هذه الجمعية . وهاك اولاها:

« ان تنشر مع الضبط نصّ الاوراق الرسمية المتعلقة بالطائفة كالفرمانات مثلاً ، والمعاملات الصادرة من الباب العالي ممّا له دخل في تاريخ الطائفة . وكذلك براءات الباباوات المحفوظة في الفاتيكان او في سجلّات البطريركية . »

***

وها نحن بعد انتظار ثلاثين سنة ، نستقبل ، بعاطفة ذهول وسرور ، نشرة الدكتور اسد رستم ، استاذ التاريخ في الجامعة الاميركية . واننا ننشر سطوره هذه في مجلتنا بكل ارتياح ، حاثّين قرّاءنا الكرام على ان يساعدوا، كلّ بقدر امكانه ، هذا المشروع الخطير الذي يقوم بنشره المؤرّخ العالم:

« رأت ادارة مكتبة جامعة بيروت الاميركية ان تعنى عناية خاصة بجمع وتنسيق وحفظ جميع الاوراق العربية لتاريخ سوريّة في عهد محمد علي باشا وابنه

ابراهيم باشا المشهور حرصاً عليها وخدمة للعلم والتاريخ . وقد توفر لديها الآن اكثر من اربعة آلاف رسالة رسمية وغير رسمية . ولما كانت ادارة هذه المكتبة تعتقد ان النشر لا يأتي بالفائدة العلمية المطلوبة الا متى شمل كل الموجود من هذه الاوراق رأت ان تنشر على صفحات هذه المجلة الآن انموذجاً للاصل كله الذي سينشر في كتب على حدة في المستقبل القريب

والقصد من نشر هذا الانموذج الآن هو اعلان غايتنا هذه لجميع السوريين والمصريين حثاً للذين لم يساعدونا باتحافهم ايانا بما لديهم من الاوراق العربية الرسمية والغير رسمية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية التي ترجع الى عهد محمد علي باشا في هذه البلاد (سورية من غزة هاشم الى جبال طورس ما بين سنة ١٨٣١ و ١٨٤١ م . و ١٢٤٧ و ١٢٥٧ هـ .) وان بامثال هذا التعاون نأمل لنا ولمن يأتي بعدنا استكمال هذا المشروع التاريخي المفيد وغايتنا ايضاً ان نقسم هذه المجموعة متى تمت وعدت للطبع (والجزآن الاول والثاني من الاوراق السياسية معدان للطبع الآن) الى قسمين رئيسيين: الاوراق السياسية ، والاوراق الاقتصادية الاجتماعية

وسنضع لهذه المجموعة مقدمة مطولة في «تاريخ» هذه المصادر الخطية (الاوراق العربية نفسها) وكيفية قراءة اصطلاحاتها الفنية والخطة التي نتمشى بموجبها في نشر محتوياتها . ومن ثم تأتي الرسائل نفسها مرتبة بترتيبها التاريخي ومنشورة بموجب نصوص شرائع الاسلوب العلمي في التاريخ — اي اننا نوجه انظارنا اولاً الى ضبط كلمات هذه الرسائل وقراءتها كما يقرأها واضعها فيما لو تسنى لنا ان يقرأها امامنا ثم نجتهد في تعيين تاريخها اذا كانت مجهولة التاريخ وتعيين مؤلفها اذا كان مجهولاً ايضاً .»

ويرى المطالع في الصفحة التالية انموذجاً من هذه الاوراق

محمد سليم باشا والبطريرك يوسف حبيش

١٩ ربيع الاخر سنة ١٢٥٦

٢١ × ٣٢ س من الورق الصكوكي القديم وهو محفوظ بين اوراق سنة ١٨٤٠ في مكتبة بكركي لبنان. ومنه نسخة بالفوتغراف بين اوراق سنة ١٢٥٦ هـ . في مكتبة جامعة بيروت الاميركية

فخر الملة المسيحية وقدوة الطايفة العيساوية بطريرك الموارنة في الشرق زيد قدره غب السؤال عن احوالك المنهى اليك انه لقد شرع ديوان باب همايون الدولة العلية صانها رب البرية بموافقة ارآ حضرات الملوك العظام انكليز ومسكوب ونمسا وبروسيا على رفع الاثقال الصادرة من عساكر المصرية الخوارج عن عدم ولايتهم وادمارهم من الوجود قصاصاً لما فعلوه من المظالم في بلاد سوريا وقد تصدر الامر الهمايوني وحصل خط شريف خصوصي فيما يخص جبل لبنان ان كلاً منهم يبقى على عادته القديمة وتكرمت منعطفة هذه الدولة السعيدة باعطاء انعامات موبدة ومنها محدودة لمن يقوم بصدق الخدامة من اكابر واصاغر وانتشر السنجق الملوكي الباب واللوا الهمايوني المستطاب بتوجيه العساكر المنصورة برًا وبحرًا وقد تيسر وصولنا بعناية صاحب العناية الى صحراء جونية كسروان بجانب وفير من الجيوش المتأيدة والآن تم تصدير مرسومنا هذا الدستوراني اليكم فبحال وصوله اليكم ووقوفكم على مضمونه ان تكونوا طيبين القلوب والخواطر وان شاء الله لا تشاهدوا من طرفنا الا كلما يسركم يلزم تشهروا مرسومنا هذا على كل من هو تحت طاعتكم مطارين ورهبان واكليروس وعامة ان يكون حاصل عندهم الاطمنان وبلوغ الامان ما عدا الذي يبدا من احدهم وساوس ام مفاسد لمعاونة الدشمان الخوارج الخاسرين فيكون جزاه عبرة وشهرة اعلموا ذلك واعتمدوه غاية الاعتماد في ١٩ ر سنة ٢٥٦

الختم سليم

قايد جيوش الدولة العلية

بين المعرّي والخيّام

فكرة الموت، ومصير الاجساد

بقلم فؤاد افرام البستاني، استاذ الآداب العربية في كلية القديس يوسف

الموت يخدن الحياة. رافقها منذ نشأتها ويجاريها حتى انتهائها؛ فلا يمدّ لها غصن الا قصفه، ولا تتفتح لها زهرة الا نفخ عليها سمومه، ولا تينع لها ثمرة إلّا جناها. حتى اصبح غاية كل حسّاس متحرك، ومآل كل نام ناشئ، واضحى الأحياء ابناء الموت

هذه السيطرة المطلقة على كل مظاهر الحياة، شعر بها الناس منذ نشأة الانسانية، فحاروا في سلطتها، واقاموا يفكّرون فيها القرون العديدة، دون ان يجدوا للنجاة منها سبيلًا. يتراءى شبح الموت السيد القادر سلطته، الغنيّ باموالِه، السعيد في حياته، فيقلق عليه راحته، ويتهدده بانقضاء سعادته، فيخافه ويجتهد بتأخير اجله؛ ويبدو الشبح نفسه للصعلوك الفقير التاعس، فيرى فيه خير مخلّص من متاعب الحياة، ولكنه لا يلبث ان يرى وحشة هذا الطريق فيرتجف ويظلّ حائرًا بين الرغبة والرهبة. يشعر بروز الموت الفتى المغرور بظاهر العالم، المنغمس في حمأة الملاهي والملذّات؛ فيخشى سرعة حلول الأجل ويجتهد عبثًا في الهرب؛ ويأخذ الشعور نفسه من روع الناسك المتعبّد، فيرجو خلاص نفسه من الجسد الماديّ، ولكنها يهاب عبور ذاك الجسر الهائل ولو الى الجنّة.. يدنو الفيلسوف المتشائم، الشاكّ، من عتبة القبر فيتراجع رهبًا مع كل ما في نفسه من يأس من الحياة، ورغبة في كشف ما وراءها؛ وكذلك يسير المتفائل المؤمن، الواثق بالآخرة الصالحة، الى قبره بين الخشوع والتردّد. كثيرًا ما تختلف آراء الناس في الموت، وكثيرًا ما تتباين حالاتهم تجاهه. ولكنهم يجمعون على التفكر فيه، وعلى الرهبة منه

سلطان قادر ، آمر لا مردّ لحكمه، اوقع الرعب في قلوب البشر منذ البدء وسيوقعه الى الانتهاء. وكان من الطبيعي ان يكون وقعه اشدّ تأثيراً في قلوب الحسّاسين من الناس ، ولاسيما الشعراء. ولهذا كان الموت من اخصب المواضيع الشعرية ، واكثرها مرونة ، فعلق بـه الكثيرون من شعراء الشرق والغرب . واملُ من فتن به خاصة في آدابنا ابو العتاهية وابو العلاء

اما ابو العتاهية فاكثر من تصوير الفنـاء ، واهوال الموت. ولم يكن له فكرة شخصية في مصير الاجساد بعد الدفن. ولهذا لا دخل له في كلامنا اليوم.

واما ابو العلاء فعليه مدار بحثنا . على ان هنـاك شاعراً فارسياً اولع بالموضوع نفسه ، وافاض عليه كثيراً من تأثيراته الشخصية، وتصاويره الطريفة ، الا وهو عمر الخيّام الذي عاش نحو نصف قرن بعد المعرّي (١ ، والذي يعتبره الكثيرون آخذاً عنه ، وناسجاً على منواله فيما يختص بمصير الأجساد

ان يتفق المعرّي والخيّام في تصوير اهوال الموت : وسلطانه القاهر ، ووحشة القبور ، فهذا ما لا غرابة ، ولا حاجة الى نسبته الى النقـل ، وقد قدّمنا ان الموت من المواضيع العامّة الشائعة بين الشعراء . اما ما يستحق درساً خاصاً ، ومقابلةً بين الشخصيّتين ، فهو ما نسميه بمصير الأجساد ، وما تتفق فيه آراء الشاعرين من ذكر مآل الرفات بعد الموت ، وتحوّله الى تراب ، وخزف ، وآنية تتفرّع عنها. ونحن نرى ان الخيّام استفاد من المعرّي ، في هذا الموضوع ، وهو كان يُتقن العربية وله فيهـا تآليف (٢ ، وعاش بعيد موت المعرّي في عصر شاعت فيه شهرته ، وتنوقلت اخباره ، وسارت آراؤه . كل ذلك يظهر من المقابـلة التي سنأتي بها بين اقوال الشاعرين فنعرضها بطريقة نزيهة ونترك للمطالع حق الحكم فيها ، فشاركتنا في الرأي او معاكستنا

---

١) عاش المعرّي من سنة ٩٧٣ الى سنة ١٠٥٧ في معرّة النعمان ، وبغداد ، فالمعرّة ، وقضى اكثر حياته (١٠٠٩ - ١٠٥٧) في بيته معتزلاً. وسمّى نفسه رهن المحبسين ، اي حبس بيته وعماه. اما عمر الخيّام فعاش في نيسابور ، وبلخ ، وبعض مدن فارس ، واشتغل في العلوم الرياضية والفلكية ، وتوفي في نيسابور سنة ١١٢٣

٢) من تآليف الخيـام بالعربية كتاب الجبر والمقابلة الذي ترجمه المستشرق ويبكه (Woepcke) ونشره سنة ١٨٥١ ، وقد نُسب اليه ابيات شعرية بالعربية ايضاً .

ولنبدأ الآن بذكر آراء الشاعرين في الموت اولًا:

اول ما يلفت النظر بين الشاعرين اتفاقهما في ذكر سلطة الموت ، وشمولها الخلق جميعاً، وذاك امرٌ طبيعي. فيقول ابو العلاء ، وملءُ جوانحه الرعب والأسى:

انبأنا اللبَّ بلُقيا الردى ؛ فالفوتُ من صحةِ هذا النبأ !

ولكن لا غوث من ذلك، بل

يُهال الترابُ على من ثوى ! فآهٍ من النبأ الهائلِ !

ثم يتسع تحققه ابناء الناس، فيراهم ينزلون بطن الارض ولا يرى احداً يعود، فيصرخ متمنياً المستحيل :

فليت الفتى كالبدر ، جُدِّد عمره ، يعود هلالًا كلما فني الشهرُ !

ولم نرَ بطنَ الارض يأتي لظهرها رجالًا ، كما يأتي الى بطنها الظهرُ !

وهو اشبه بتحقق الخيّام ، اذ يقول عن الفلاسفة والحكماء الاقدمين :

وهم اليومَ ، في الثرى ، ساكتونا لا خطاب ياقونه ، صامتونا ،

ملءُ افواههم ترابٌ ، فما هم بعدُ يلقون في الأنام خطابا ! (١

وينتقل الى ذكر من فارقوه من الاصدقاء العديدين فيصيح برعب واسف ، متحققاً فراغ البيت ، وامتلاء القبور :

كم حبيبٍ كان الجليس الأنيسا ، كلما جئتُ ، او طلبت الكؤوسا !

كم حبيبٍ ! سلِ الثرى والرموسا !

واحداً اثر واحدٍ ودّعوني وأبى يُلهب الحشى اودعوني

فرغ البيت ، والمقابر ملأى ، وعيوني الملأى تفيض انسكابا ! (٢

ويشبه اسى الخيّام هذا خوف المعرّي على حياته ، اذ يصوّر انقضاء اجله ، واهتمام الناس بحفر قبره ، بتلك الصورة المفزعة المرعبة فيقول :

---

١) رباعيات عمر الخيام معرّبة نظماً بقلم وديع البستاني . النشيد الاول ، العدد : ٢٣ – وسنشير في شعر الخيام الى العدد والنشيد من ترجمة البستاني . وهناك ترجمة لرباعيات الخيام ظهرت في مصر بقلم محمد السباعي . على اننا استعملنا ترجمة البستاني لانها اقدم واشهر . – اما ابيات المعرّي فاكثرها من اللزوميات ولم نرَ لزوماً للاشارة الى مآخذها الدقيقة .

٢) النشيد : ١ ، العدد : ١٧

يكرّ الحولُ بعد الحولِ مني ، وتلك مصارعُ الاقوامِ ،حولي
كأني بالأُلى حفروا لجاري ، وقد اخذوا المعاول،واتحوا لي!

على ان الشاعرين يسكنان الى القضاء والقدر والى ان الموت محتّم على كل حي لا مهرب منه ، بدليل الآية القرآنية: «اينما تكونوا يُدرككم الموت !»(١ ذاكرين ان الانسان لا يموت الا في ساعته بدليل الآية الاخرى : «فاذا جاء اجلهم لا يستقدمون ساعةً ولا يستأخرون »(٢ فيقول المعرّي :

كم هلكت غادةٌ كعابٌ وعمرت امها العجوز !
احرزها الوالدان خوفًا، والقبرُ حرزٌ لها حريز
يجوز ان تبطئ المنايا ، والخلد في الدهر لا يجوز !

ويردف عن نفسه :

ان يرحل الناس ، ولم ارتحلْ ، فعن قضاءٍ لم يُفوَّض اليّ

فيدعوه الخيّام الى التسليم لله وقضائه :

فاتسلّم لربه تسليما فهو من كان بالمصير عليما
منذ كانت هذي البرايا سديما !

خُطّ ما خُطّ من سطور القضاء! لا تحاولْ ابدالَ ياءٍ بباء
فبنو الياء يلحدون شيوخًا ، وبنو الباء أُلحدوا ، اطفالا !(٣

ولكن هذه الغاية التي لا مناص من السير اليها ، هل هي حسنة ام سيئة ؟ نافعة ام ضارّة ؟ مرغوب فيها او مصدوف عنها ؟ هذا ما اضطربت فيه افكار المعرّي خاصّة ! فحار طويلًا ولم يهتدِ . فهو تارة يرى في الموت الراحة المنشودة التي تنسي الانسان همومه ، واوجاعه ، وتُغنيه عن الناس ومطالب الحياة المتعدّدة فيقول :

رقدة الموت ضجعة يستريح الجسمُ فيها ، والعيشُ مثلُ السهادِ
تعبٌ كلّها الحياةُ ! فما اعـ جب إلّا من طامعٍ في ازديادِ !

---

١) القرآن : سورة (٤ [النساء] ٨٠)
٢) القرآن : سورة (٧[الأعراف] ٣٢)
٣) النشيد : ٢ ، العدد : ٣١

ويقول :

لعلَّ موتاً يريحُ الجسم من نصبِ ! ان العناء بهذا العيش مقترنُ

فهو يتمنى الموت ، وهذه آماله فيه :

أصبح في لحدي ، عن وحدتي ، لستُ الى الدنيا بمحتاجِ

متى غدوتُ ببطن الارض مضطجعاً فثمَّ افقد اوصابي واسقامي !

كأس المنية اولى بي ، واروح لي من ان أكابد اثراء واحواجا

العيش افقرَ منا كلَّ ذاتِ غنى والموت أغنى ، بحقٍّ ، كل محتاجِ

اذا حياة علينا ، للأذى ، فتحت باباً من الشرّ ، لاقاه بارتاجِ

لَكَونُ خالك في رمسٍ أعزّ له من ان يكونَ مليكاً عاقد التاجِ

المَلك يحتاج آلافاً تناصره والميت ليس الى خلقٍ بمحتاجِ !

اعفى المنازل قبرٌ يُستراح به ، وافضلُ اللبس ، فيما اعلم ، الكفنُ !

فمالي اخاف طريقَ الردى وذلك خير طريقٍ سُلك !

يريحك من عيشةٍ مرّةٍ ومالٍ أُضيع ، ومالٍ مُلك !

ولكنه يخاف ، رغم اعتباراته ، لأنَّ

وخوف الردى آوى الى الكهفِ اهله وكلّف نوحاً وابنه عملَ السُفنِ

وما استعذبته روح موسى وآدمٍ وقد وُعدا ، من بعده ، جنتي عدنِ !

ولأن طرقه موحشة مخيفة ، كيف لا و

لو لم تكن طرق هذا الموت موحشةً مخشيَّةً ، لاعتراها الناسُ افواجا

وكان من ألقت الدنيا اليه اذىً يؤمّها تاركاً للعيش امواجا !

ولهذا فهو دائم الاضطراب ، تشتدّ عليه صروف الحياة فيدعو ملاك الموت ، حتى اذا سمع حفيف اجنحته ، لجأ الى شعار البشر الخالد وهو : «العذاب ولا الموت !» ، ثم لا يرى في حيرته من ملجأ الّا الله ، فيتكل على حكمته ، ويقول :

ان كان نقلي عن الدنيا يكون الى خيرٍ وأرحبَ ، فانقلني على عجلِ

وان علمت مآلي عنـد آخرتي   شرًا وأضيق، فانسأ، ربِّ، في اجلي!

يذكر الضيق والسعة خصوصاً لان نفسه

... تحوي الرحب في كل منزلٍ   فكيف بها، إن ضاق في الارض قبرها!

اما عُمر الخيّام فلم يكن ليتردّد امام الموت تردّد المعرّي، وهو لا يذكره الا قاطعاً للذات، ومفرّقاً للاصدقاء، فيتوقّف هنيهة حائرًا في سرّه رغم البحث والدرس، ويقول:

واجتليتُ الغوامض المبهماتِ   ولقيتُ الحقائقَ السافراتِ
غير أن الآجال، والموت فيها،   ذاك سرٌّ لم أنضُ عنه نقابا! (١

ثم لا يلبث ان يستنتج من ذاك نتيجة ابيقورية قد لا تمرّ في ذهن المعرّي، فينادي ان اغتنم فرصة البقاء، والهُ ما شئت لانك سوف تموت،

وبذاك الحجاب سوف تمرُّ،   حيثُ سرٌّ يبدو لديك وسرٌّ،
فاغتنم فرصة البقاء فان المـ   ـوتَ ما عوَّد الفتى إمهالا! (٢

***

هذه مجمل آراء الشاعرَين في الموت وهي لا تعدو رأي كل فردٍ اختبر الحياة وتحقّق غايتها، فعرف ان الموت جسرٌ لا بدَّ للناس من عبوره، كلٌّ في ساعته. ولكن ما وراء هذا الجسر؟ وما يكون مآل القوم بعد عبوره؟ هذا ما وقف دونه الشاعران ففكّرا فيه طويلًا، فنجحا مرة، وفشلا مرة، وشكّا في نجاحهما وفشلهما مرارًا

اما مصير الأرواح فيتّفق الشاعران في الشكّ فيه، رغم ما يظهر من اقوالهما بعض الاحيان من اتباع تعاليم الدين، والايمان بالبعث. وانما تلك لمحات من نور، في ظلام الشكّ المطبق، يسيران بضيائها دقائق معدودة، يتذكر فيها الخيّام ما تعلّمه من المبادئ الدينية، فيندم على خطاياه، ويشاهد الخالق يوم الدينونة، في عظمته وجلاله، فيخشع متأسّفاً ويصلّي:

انت يا عالمًا بذات الصدورِ،   ومقيلَ العبدِ الكثير العثورِ،
هَبْ لخيّامَ، قبل يوم النشورِ،

١) النشيد: ١، العدد: ٢٨. — ٢) النشيد: ٣، العدد: ٢٦

وازعـاً زاجرًا يكـفـّ يديـه عن كؤوسٍ مشعشعاتٍ لديه
فهو فيها جحيم كل مُدامٍ ، ولديها يحيي الليالي الطوالا (١

ويرتفع المعرّي في ذاك الايمان الصالح ، والاعتقاد القويم ، الى درجة المُناضل عن صحّة البعث ، المدافـع عن حقيقة النشور ، فيأتينـا بالبيتين الرائعين اللذين ظهرا خير سابقة لما يسمّونه في الآداب الفرنسيـة « رهان بسكال » . وهما :

قـال المنجّم والطبيب كلاهما : « لا تحشر الاجسام ! » قلت : « اليكما !
ان صحّ قولكما ، فلست بخاسرٍ ! او صحّ قولي ، فالخسار عليكما ! »

ولكنها لمحات من نور في جوّ من ظلام الشكّ ، كما قلنا . فلا تكاد تنطفئ — وسرعان ما تنطفئ — حتى يعود كلٌّ منهما الى جحوده وإنكاره للقيامـة ، فيقول الخيّام يائساً :

فتودَّعْ ، ولا تدعْ في الربوع متمنّىً تتمناه بعد الرجوعِ !
لا رجوعٌ ولا عـالة إنّا سوف نطوي هذا السبيل ارتحالا ! (٢

ويردّد استاذه المعرّي ، بشيء من التشاؤم المرّ :

ضحكنا ، وكان الضحك منا سفاهةً ، وحقّ لسكان البسيطة ان يبكوا !
تحطّمنـا الأيـام حتى كأننـا زجاجٌ ! ولكن لا يُعادُ لنا سبكُ !

فيها ، تُجاه مصير الارواح ، على حدّ قول ابي العلاء نفسه :

امـا الجسوم فللتراب مآلها وعييت بالارواح أنّى تسلكُ !

للتراب مآل الجسوم ! حقيقة أيدها الاختبار ، وفتّن فيها الشاعران فلم يتوقفا عندها جامدة باردة ، بل توسّعا فيها مـا شاء خيالهما الفسيح ، وحسّهما الدقيق . فكان أوّل آرائهما في ذاك التراب ، الجسمي الأصل ، عاطفة اشفاق ورحمة تبدو من شعر المعرّي اذ يقول :

خفّف الوطء ! ما اظنّ اديم الأرض إلّا من هذه الاجسادِ !
سرْ ان استطعتَ ، في الهواء رويداً لا اختيالًا على رفات العبادِ !

---

١) النشيد : ٣ ، العدد : ٣١ ٢) النشيد : ٣ ، العدد : ١٢

وتتجاوز عاطفة الخيّام الاشفاق الى الصدقة والإحسان ، فيجود على تلك الاجساد البالية بما تملكه يداه ، وما تملك يدا سكّير سوى الخمر ! فيقول ، مشيراً الى عادة سُقاة الفرس باهراق قليل من الخمر ، قبل تقديم الكاس :

ما جُزافاً ما قد اراق السُقاةُ ! لا لعمري ! بل تلكم صدقات !
انما الترب يا ندامى رفاتُ !
فليريقوا ! فتلكمُ القطراتُ لكبودٍ تذيبها الحسراتُ
وليريقوا ! لعلّها مطفئات لوعة في الثرى تؤجّ التهابا ! (١

غير ان ذاك الخيال المولّد في الشاعرين لا يقف عند التراب ، وهو المصير الاوّل لكل حيّ ، بل يتجاوزه الى ما يؤخذ من التراب من الآنية الخزفية ؛ فتكون هذه المحطة الثانية لتلك الاجزاء الجسدية المقسّمة هباء بعد الموت ، على حدّ قول الخيّام :

ذا مصير الورى : اناسٌ ، فتربٌ ، فأوانٍ كانوا لها اصحابا

وهنا يدخل الشاعر الفارسي الى معمل الخزّاف ، فيسمع اصوات الارواح ترتفع اليه من خلال الطين المجبول ، فيصيح :

امس ابصرتُ جارنا الخزّافا يجبلُ الطينَ كيف شاء اعتسافا
ويكيل المقدار منه جُزافا !
وكأني أسمعت ، بين يديه ، صوت ذات مظلومة تشتكيه :
« آه رفقاً ! فانت طينٌ وماء ، ايها المرء ، لا تسيئي العذابا ! » (٢

ولم تكن هذه الرائعة الا توسيعاً لما صوّره المعرّي في المعنى نفسه ، بقوله :

فلا يمشي فخاراً ، من الفخر ، عائدٌ الى عنصر الفخّار للنفع يُضربُ
لعلّ اناءً منه يُصنع مرّةً فيأكل فيه ، من اراد ، ويشربُ
ويُحمل من ارض لأرض ، وما درى فواهاً له ، بعد البلى ، يتغرّبُ !

وقوله في التصوير نفسه :

تيمّموا بترابي علّ فضلكم ، بعد الهمود ، يوافيني باغراضي
وان جُعلت ، بحكم الله ، في خزف يقضي الطهور ، فاني شاكرٌ راضي !

١) النشيد : ١ ، العدد : ٣٣ ٢) النشيد : ١ ، العدد : ٣١

ويرى المعرّي غير ذلك من منافع التراب المتكوّن من اجسام • كانت جديرة بالصون ، وقد صارت في طلاء الجدار • فيقول :

كم من رجالٍ جسومهم عفر تُبنى بهم • او عليهم • الجُدرُ !

ويقول ايضاً ، والصورة فيه اروع ، لما فيها من التخصيص والتضادّ :

لعلّ مفاصل البناء تضحي طلاءً للسقيفة والجدارِ !

الى هنا ينتهي الشبه ، على ما نرى ، بين المعرّي والخيّام • فيقف الشاعر العربي لدى هذه الاعتبارات المحزنة ، العميقة ، الملأى بالهيبة والروع • ويتجاوز زميله الفارسي تلك المحطة من مصير الاجساد الى ما وراءها ، فيصوّر الناس يصبحون غذاء للنباتات

واصولاً يمدون للاشجار !

فيتراكمون بعضهم فوق بعض في الكروم والبساتين ، حتى انه يصف الخمرة بانها .

بنت كرمٍ كريمةٌ • وابوها رجلٌ صدرُه يضمّ رجالا ! (١

ثم لا تلبث تلك الاغذية النباتية ان تصير بدورها الى نبات منوّر ، فتصبح ثغور الاموات ثغورًا جميلةً من الازهار ، وتتحوّل دماء الملك المقتول الى وردة ناضرة ، والخال الجميل في الخدّ الى زهرة من البنفسج ، وذلك قوله :

حيث تلقى الورد النضير الجميلا أليكَ هناك خرّ قتيلا !
ولكم شاتَ ما اقتطفت بنفسجْ • وترفّقت انه بين عوسجْ •
وهو خالٌ نام بخدّ فتاةٍ بدر حسنٍ في ظلمة القبر غابا! (٢

ولا يشكّ في انه هو ايضاً سيتحوّل الى تلك الاعشاب والازهار ، ولكنه يشكّ في جمال تلك الازهار التي ستخرج من جسده ، فيقول :

ليت شعري • اذ نحن في الروض زهرٌ • ايّ عين نروقها إعجابا !

---

١) النشيد : ٣ • العدد : ٣ ٢) النشيد : ٤ • العدد : ١٩

وعلى كل فهو يتمنّى ان يطلّ من ترابه نبتاً بعد الفِ والفِ من السنين فيحيّي الربوعَ والاطلالا !

ولا ينسى قبل موته ، ان يرجو من نديمه ، متابعة سكب الخمر على زهور قبره ، فيثمل كما كان حال حياته ، وهو يوصيه بهذا المقطع الرائع :

يا نديمي ، قد آن موت النديمِ ! فاذكرنّي ذكرَ الصديق القديمِ
وابكينّي بدمع بنت الكرومِ
وبكأسِ الرحيقِ ، قِفْ فوق قبري واسكب الخمر فوق عشبٍ وزهرِ
فرفاتي ، اذ ذاك ، زهرٌ وعشبُ ، واما الشيء كان كوناً ، وحالا ! (١

* * *

هذا ما رأيناه من الطريف في الموت ومصير الأجساد، عند المعرّي والخيّام. ونترك للمطالع الحكم الاخير ، ومشاطرتنا الرأي في ان الخيّام استفاد من المعرّي فيما يختص بمصير الاجساد الى التراب والخزف والانية . ولكنه لما كان اوسع خيالاً ، وادقّ حسّاً ، واوفر شاعرية ، جاوزه الى التحوّلات الاخرى من جذور واشجار ، ونبات وازهار ، فنال السبق في ذلك ، وفتح في الآداب الشعرية باباً جديداً لتصوّر نهاية الانسان . فتنقلت فكرة التحوّل الى النبات والزهر بين الشعراء وقرّرها علم الكيمياء بدورة الازوت في الطبيعة ، وكان فيها من الروعة ، وجمال التصوير ، واثارة التأملات ما كفل بفوزها فسارت في الشعر العالمي . ولعلّ آخر ما اطلعنا عليه من نوعها في الشعر العربي ، قول فوزي المعلوف (شاعر في طيّارة) متشائماً في منفعة الانسان :

وهو لا ينفع البسيطة ، إلّا حين يثوي في القبر ، بين رحابه ،
حين يمتصّه الأديم ، فيُمضي منه بعض الغذا الى اعشابه .
ليت شعري كل النبات الذي في الـ كون ، من زهره الى ابلابه ،
ليس الّا عصير اجسام من ماتوا ، فزانوا الثرى باجمل ما به !

(١ النشيد : ٣ ، العدد : ٦٠

هل اللغة العربية غنية؟

ام هي فقيرة قاصرة عن التعبير عن حاجات العصر ؟

بقلم حضرة القس عبد المسيح زمر

٥

العربية بالنسبة الى هذه الحالات الثلاث

هيهات ان تكون اللغة العربية فقيرة ، فهي بعيدة عن هذه الشائبة العائبة . ولكن هل هي غنية ، ام هي غزيرة المادة ؟

الجواب: العربية غنية من وجه ، وفقيرة من وجه آخر ، كما انها غزيرة المادة من وجه ، وقليلتها من وجه آخر .

قلنا سابقاً ان اللغة الغنية هي التي فيها لكل معنى لفظ ، او هي التي معانيها لا تزيد على الفاظها ، والفاظها تقوم بالدلالة على معانيها ، بلا زيادة ولا نقصان تقريباً . لا ريب ان اللغة العربية كانت على هذا الوصف ، في ماضي الزمان ، يوم كان اهلها في حالة البداوة ، قليلي المعاني والحاجات ، اذ كانت بيوتهم الشعر والاديم ، ومفرشهم الباري والبلاس ، ولباسهم الكساء والرداء ، واثاثهم الرحى والقربة والقدر ، وآنيتهم القعب والدسيمة والجفنة ، وقوتهم اللبن والتمر ، وسلاحهم السيف والرمح ، ومراكبهم الخيل والابل ، وتنقلهم في البراري والقفار . ولكنهم لما تطوروا بتطور الحضارة ، واتخذوا البيوت المنجدة ، وتأنقوا في معالاة البيوت والصروح ، وعلاج الاقوات ، واستجادة المطابخ ، واقتناء الملابس الفاخرة ، زادت المعاني على الالفاظ ، وشرعوا يأخذون بعض الكلام ، عن الامم المجاورة لهم . فاخذوا الكثير الجم عن الفارسية ، واخذوا عن الحبشية ، والعبرانية ، والسريانية ، واللاتينية ، والسنكريتية ، والهندية ، وذلك عن حاجة وافتقار الى تلك الالفاظ . ومهما اتصلوا بأمة

او شعب ، اخذوا عنه ما خلت لغتهم منه . ولما احتاجوا الى تعلّم العلوم التي كانوا صفرا منها ، وعمدوا الى نقل كتب علماء اليونان الى لغتهم ، ادخلوا فيها كلاماً كثيراً ما كانوا يعرفون له لفظاً في اوضاعهم ؛ وهذا ليس بعيب ولا بمار . لانّ الشعوب في اول امرها ، لمّا كانت تعيش في البداوة ، مستقلّة بعضها عن بعض ، غير متعاونة ولا اجتماع لها ، كانت غير مفتقرة الى استعارة الكلام ، اذ كل شعب وكل امّة ، كانت تتداول من الالفاظ ما يدل على المعاني التي عندها ، على القدر المطلوب . ولكن لمّا عدلت عن حالة البداوة الى حالة الحضارة ، وعن التوحّش الى التأنس ، واخذ التجّار يضربون في البلاد للتجارة والارتزاق ، واختلطت الشعوب بالامم المجاورة لها ، وادركت من المعاني ما كانت تجهل في بلادها واقطارها ، اضطرت امّا لتقارب الديار وقرب الجوار ، واما للمخالطة والتجارة ، وامّا لكسب العلم ؛ الى اخذ الفاظ عن جيرانهم وخلطائهم ، وهذه سنة الله تعالى في خلقه ، ان المفضل يعطي والمحتاج يأخذ .

فاذن ليست اللغة العربية غنيّة كما يدعي بعضهم ، ولا هي غزيرة المادة على وجه الاطلاق ، كما يظن فريق متعصّب لها عن هوى وميل ؛ بل هي غنيّة من وجه فقط ، وغزيرة المادة من وجه ايضاً ؛ وهي في حاجة الى الالوف من الالفاظ ، وينقصها الكلام الكثير في علم المواليد ، وفي علم الهيئة ، وفي علم الطب ، والتشريح ، والصيدلة ، والكيمياء ، والطبيعيات ، والآلات ، و . . . فمن اين نأتي بهذه الالوف المؤلّفة من الالفاظ الدالة على المعاني ، اذا كان لا يصحّ اخذها عن لغة اخرى ؟ وكيف نقدر ان نعبر عن تلك المعاني ، ما دمنا ننفر من الدخيل ؟ ولماذا هذا النفور ، وقد استعمل العرب الفصحاء الدخيل في عهد جاهليتهم ؟ نعم ان كتابنا قد عرّبوا الفاظاً قليلة ، ولكن ما عرّبوه في جانب ما نحتاج اليه يجري مجرى القطرة من البحر الافيح ، او الرملة الواحدة من حبل الرمل . بل كم من مرّة اصطلحوا على كلمة ، ثم نبذوها ، ثم عادوا اليها والامثال على ذلك كثيرة ، . فلله در من قال : اننا اتفقنا على عدم الاتفاق وحسب .

٦

هل الترادف غنى للغة حقيقي

اما تبجحهم بان العربية غنية ، ومن اغنى اللغات ، فهو ضرب من الدعاوة لا غير . فمصدر هذا القول كثرة الترادف والتوارد ، اي ان للاسد ٤٠٠ اسم وقال بعضهم ٥٠٠ ، وللداهية مثل ذلك ، والسيف ٣٠٠ ، والحية ٢٠٠ وقال بعضهم ٣٥٠ ، والناقة ٢٥٥ وقال بعضهم بل ٥٠ فقط ، والماء ١٧٠ ، والخمر ١٠٠ ، وللبئر ٩٠ ، والمطر ٧٠ ، وللظلام ٥٢ ، وللسحاب مثل ذلك ، وللشمس ٣٠ ، وللسنة ٢٤ ، وللنور ٢١ ، وللبن ١٣ ، والعسل مثل ذلك فضلًا عن الصفات ، اذ عندهم للقصير نحو ١٦٠ صفة ، وللطويل ١٠٠ ؛ وعن ترادف الافعال كقولهم : ابرت فلاناً العقرب ، وزعقته ، وشحطته ، وضربته ، وكوته ، ولتغته ، ولدغته ، وازته ، والبته ، ولسعته ، واسنته ، والكمته ، وندغته ، ونهشته ، وركته ؛ وادل الباب ، وابهمه ، وترعه ، ودسه ، وردّه ، ورتجه ، وزلجه ، وازلجه ، وسفقه ، وسكره ، وصفقه ، وصكه ، واصحقه ، واعجمه ، وعلّقه ، واقفله ، وكظمه ، ولصّه ، ولطّه ، وامسكه واوجفه ، ووصّده ، وغير ذلك . وعن ترادف الجمل من مثل قولهم في طلوع الصبح : بثّ الصبح طلائعه ، وبدا حاجب الشمس ، وبدا محيا الغزالة ، وبرزت الغزالة من حجابها ، وحسرت الشمس قناعها ، وسطع عمود الصبح ، وشاب غراب الليل ، وطار غراب الظلام ؛ وفي زوال الشمس وغروبها : مال ميزان النهار ، وزلّت قدم العصر ، وبقل وجه النهار ، وجنحت الشمس الى مغاربها ، وانحدر كوكب الشمس الى مغربه ، ودبّ الشفق الاحمر في حاشية الافق ؛ وفي اقبال الليل : بسط الليل على الكون جناحهُ ، وجثم الليل في بجثمه ، وخفقت راية الظلام ، ودجا جنح الليل ، وارخى الظلام سدوله ، وضرب الليل باوراقه ، واغتمض جفن الليل ، ونشر الليل اجنحته السوداء على الكون ، الى غير ذلك من الاوصاف الكثيرة ، والترادف الملّ ، مما يزيد في صعوبتها ، وينفّر الدارسين منها ، ومن الاقبال عليها.

على اننا لسنا نرى ، ولا يرى معنا ، كل من حكّم عقله في كثرة الترادف

والأوصاف ، غنيّ تحقيقاً وتدقيقاً ، ما دامت اللغة في حاجة ماسّة الى الفاظ كثيرة لا تُعدّ ولا تُحصى للدلالة على المعاني التي ليست فيها . فالغنيّ كل الغنى هو الذي لا يحتاج الى غيره بوجه من الوجوه ، وإلا مهما احتاج الى غيره ، فهو ليس غنياً على الاطلاق ، بل من وجه فقط . وكان هذا الغنى المزعوم ، واليسار الموهوم ، نتج من تعدّد القبائل ، والعمائر ، والبطون ، والافخاذ ، وتنوّع لغاتهم ، وكثرة لهجاتهم ، واختلاف السنتهم . ولمّا جمعوا كلامهم ودوّنوه ، لم يعتمدوا على القبيلة الافصح لساناً ، والاصدق بياناً ، بل جمعوا كل ما سمعوه منهم ، على اختلاف قبائلهم ، وعمائرهم ، وبطونهم ، وافخاذهم ، ولغاتهم ، ولهجاتهم ، والسنتهم ، فاتى ذلك الترادف الممل ، والتوارد الذي لا جدوى فيه سوى اتعاب الدماغ ، واسهار الاعين للاحاطة به . وكذلك لا يأتي المتعلم على حفظ اسماء الاسد مثلاً ، او الداهية ، او الجمل والناقة ، او السيف والرمح ، او الشعر ، حتى يتعلم نصف لغة اخرى ، ويقوى على التعبير بها عن افكاره ؛ فضلاً عن لغة الاضداد ، التي توجب اضاعة وقت لا يستهان به . فنحن نرى ان هذه المحاسن معايب ، وهذا الغنى تخمة ، واملُ هذا من جملة الاسباب التي تحدو بالكثيرين الى التنكب عن العربية والنفور منها .

٧

هل الاعراب كمال في اللغة

ليس الاعراب كمالًا في اللغة ، بل هو ضغث على ابالة صرفها ونحوها ، وتفرّع اصولها وقواعدها ، واختلاف آراء علمائها ونحاتها ، حتى ان اللحن منها كان فظيعاً ، يجد له المرء تخريجاً في كتب النحو . فلو كان آخر الكلم ساكناً ، او مبنياً غير متغير ، لهان على المتعلمين شيء من الصعوبات . أما يكفينا ما نجده من المصاعب في تحريك اول الكلمة ، ووسطها ، وفي تحريك عين الماضي والمضارع ، حتى نزيد على ذلك حركات الاعراب ؟ فكم من تعلّم لغات ، بينما غيره لم يتقن القراءة .

فاذن مهلاً ايها الكتاب الافاضل ، لا تتمدّحوا بامور لا تعود على العربية بالمفخر . نعم هذه هي اللغة ، ولا يستطاع تغييرها في الوقت الحاضر ، ولكن

ينبغي لنا تسهيلها على الدارسين قدر الامكان ، هذا اذا اردنا تسهيلها على المتعلمين ، وتحبيبها الى الطالبين.

٨

بعض وسائل تسهيل اللغة

اولًا : ترك استعمال الترادف ، والاقتصار على الاسم الشائع ، الذي يفهمه كل الناس ، ويعرفه سوادهم الاعظم ؛ مثلاً ان نستعمل لفظ الاسد للحيوان المعروف ، ونترك : الليث ، والهزبر ، والضيغم ، والشدقم ، وقس عليه انواع المترادفات.

ثانياً : وضع معجم لغوي ، باتفاق بعض العلماء الاعلام ، يحوي الكلام السهل اللين ، القريب المتناول ، وترك الكلام الوحشي ، الجاهلي غير المأنوس ، والاقتصار في تعدية الافعال على حرف واحد ، واسقاط الباقي.

ثالثاً : تسهيل قواعد الصرف ، وترك القواعد التي لا خير فيها ، سوى اتعاب الطالب ، مثلاً تحريك عين الفعل ماضياً ومضارعاً ، والاعتماد على وزن او وزنين ، والاقتصار على مصدر واحد من الثلاثي ، وعلى جمع واحد فقط من جموع التكسير ، وعلى حركة واحدة مما يحرك بالتثليث ، وحذف بعض القواعد والفصول من النحو ، مثل باب الاشتغال ، والتنازع ، وتسهيل موانع الصرف الى غير ذلك. فايّ نفع يا تُرى في هذه القواعد ، سوى التثقيل على الطالب ؟

رابعاً : وضع كتاب صرف ونحو يحوي القواعد الاساسيّة ، يكون حافلاً بالتمارين ، جامعاً بالقليل من اللفظ ، اخص القواعد ، بعبارة سهلة حرّة خالصة من التعقيد ، على نسق اللغات المتمدنة . فما دمنا لا نريد ان نمسّ اصول اللغة ولا معجماتها ، فلن يحصل للغة تقدّم ابداً.

خامساً : الاقبال على اختراع الالفاظ الخالية منها اللغة ، سواء كان بالاستعارة ، او النحت ، او التعريب على نوع مقبول لا ينفر منه الذوق ، ولا يمجّه السمع. فهذا ما اردنا التنبيه اليه ، مؤملين ان يصادف اذناً صاغية ، وقلوباً مفكرة واعية ، وعلماء فعالين لا قوّالين.

جولة في كسروان

لحضرة القس انطونيوس شبلي اللبناني

٤ً دير مار ضومط فيترون (١

كتب خزانته الخطيّة

١ً كتاب اعمال الرسل باللغة السريانية . تاريخهُ ١٢ آب سنة ١٦٩٠ — ٢ً : كتاب « ايضاح اعتقاد الآباء القديسين ضدّ إلحاد المشاقين » تأليف القس جرمانوس آدم (هو المطران جرمانوس آدم الشهير ، الحلبيّ الملكيّ تلميذ مدرسة انتشار الايمان المقدّس) . هذا الكتاب مجلَّدٌ ضخم خطهُ عربي لم يتّسمهُ الناسخ — ٣ً : الكتاب الثالث من الكمال المسيحي لرودريكس . خطُّهُ عربي كنائسي رفيع وجميل . وان فصوله وآيات الكتاب المقدّس فيه مكتوبة بالحبر الاحمر . جاء في آخره :

« قد تمّ نسخهُ اولاً بعون الله تعالى وثانياً بيد الحقير الذميم . . . الاثيم اليه يوسف شامين غزاله الراهب اللبناني الحلبي في اليوم الثلثون من شهر تموز من شهور سنة ١٧٢٣ مسيحية . وهذه هي النسخة الاولى المنقولة على اول النسخ التي عُرِّبت بيد القس جبرائيل فرحات اللبناني المشهور بعلم اللغة العربية ورسول الكنيسة الرومانية (٢ في زمن رئاسة سيّدنا البطريرك يعقوب (عوّاد) وكان رئيساً عامّاً على الرهبان اللبانيين ابينا القس مخائيل اسكندر من قرية اهدن .

١) هو للرهبانيَّة الحلبية المارونية . والمخطوطات الموجودة فيه نُقلت اليه من دير اللويزة

٢) ذكر حضرة الاب العلّامة الخوري جرجس منّش في كتابه « المستطرفات في حياة السيّد جرمانوس فرحات » (ص ٣١) : ان معرِّب كتاب الكمال المسيحي الثلاثة الاجزاء هو العلّامة القس يوسف الباني الحلبي الماروني وان مصحّح عبارتها هو السيّد فرحات . ولم يبقَ مجالُ الريب بعد تصريح الناسخ الاب شامين في ان مصحّح الجزء الثالث من كتاب الكمال المسيحي هذا هو الاب فرحات . وقولهُ : « وهذه النسخة هي النسخة الاولى المنقولة على اول النسخ التي عُرِّبت بيد القس جبرائيل فرحات . . . » فيريد بكلمة « عُرِّبت » صُحِّحت بقلم فرحات لا تُرجمت على ما ارى

نسأل كل اخٍ طالع فيه ان يذكرني في صلواته والمجد لله دائماً .»

وبعدهُ تأتي هذه العبارة بخطٍ يختلف عن خط الناسخ وهي :

« تمَّ تعريب اعراب هذا الكتاب قس جبرائيل فرحات . وقف مؤبد وحبس مخلد برسم اخوية الرهبان الحلبيين اللبنانيين وهو مخصوص لديرهم سيدة لويزة قرب ذوق مصبح .»

٤ : كتاب رسائل الرسل . خط كرشوني مخروم من اوله . جاء في آخره :

« كمل بعون الله تعالى هذا الكتاب المبارك رسايل الرسل الاطهار وكان كماله في ٣ ايام خلت من شهر تشرين الاول المبارك من شهور سنة (١٦٧٥) ربانية . على يد خاطي حقير يوسف باسم شدياق من قرية اهدن من عيلة الدويهية وكان ذلك بايام عمي الجالس على الكرسي الانطاكي مار اسطفانوس بطريرك دير قنوبين المعمور . وايضاً بايام خالي المطران بولس مطران قرية اهدن المعمورة . الله يديمهم على كراسيهم زمان طويل امين . وكان النجاز في دير مار شليطا مقبس من كسروان . . . »

٥ : كتاب «مصباح المتريضين ونجاح الزاهدين» . تأليف القس نتانائيل

واما ناسخ هذا الكتاب القس يوسف شاهين فهو من طائفة اروم الكاثوليك على ما افادني حضرة المؤرخ المدقق المورستنف جرجس منش وهو ابن اخت القس يوسف البتن احد مؤسسي رهبانيتنا اللبنانية كما جاء في مذكرات الاب عبدالله قراعلي . وكان لهُ بعض الالمام باللغة الافرنجية (الطليانية) وقد سافر مرتين الى رومية : الاولى برفقة خاله الاب الياس والثانية مع القس جبرائيل فرحات (راجع مذكرات السيد قراعلي . تاريخ الرهبانية اللبنانية الجزء الاول ص ٦٩ و ٧٩)

وكان الاب شاهين المذكور اسبق اخوانه الرهبان الى احتضان تآليف اخيه في الرهبانية ورئيسه القس جبرائيل فرحات ونسخها بخطه الجميل عن النسخ الاصلية المكتوبة بقلم فرحات نفسه . وقد جاء في آخر كتاب رسائل القديس بولس الذي عرَّبهُ القس يوسف البانيّ بين كتبي الخطية ، ما نصهُ :

« كان النجاز من نسخ هذا الكتاب باعانة الملك الوهاب رابع يوم من شهر كانون الثاني افتتاح سنة ١٧١٩ في دير القديس اليشع النبي الشاد في سفح الوادي المقدس من جبل لبنان المبارك بيد الخاطي يوسف شاهين القس الراهب الحلبي الماروني . كان نسخهُ على النسخة التي عرَّبها ابينا الفاضل القس جبرائيل (فرحات) المحترم ورئيسنا العام يومئذٍ بخط يده . فنكم نسأل الدعا ومن الرب الغفران »

وفي آخر هذه السطور كتب الاب فرحات هذه العبارة بخطهِ المعروف وهي : « بلغ مقابلة حسب الامكان .»

(جوهرجي الارمني الماروني الحلبي) الراهب اللبناني (١ وهو عبارة عن تأملات روحية ومشحون بآيات الكتاب المقدس واقوال الآباء القديسين . وان فصوله مقسمة الى اجزاء . وهو بخط يد المؤلف نفسه بحرف عربي كنائسي جميل وآيات الكتاب المقدس فيه مكتوبة بالحبر الاحمر وهو ناقص من الخاتمة في آخره وعدد صفحاته ٦٢٤ صفحة .

٦ً : كتاب يحتوي بعض ميامر لمار افرام ومار اسحق (الناسك) ويعقوب (الرهاوي) واخبار بعض القديسين . خط كرشوني مجلد كبير – ٧ً : السنكسار بخط كلداني قديم وقد نخر العث اوراقه والورقة التي كتب الناسخ فيها اسمهُ – ٨ً : كتاب يتضمن بعض مقالات ليوحنا فم الذهب وعظات للخوري مسعد ايكونومس الكرسي الاسكندري – ٩ً : منطق مخروم من اوله خطهُ بالعربي القس انطونيوس الراهب القبطي ابن مونس ملوخيه من مصر سنة ١٧٣٥

١٠ً : كتاب ميامر القديس افرام السرياني مترجمة من السريانية الى العربية (٢ ولم يذكر المترجم اسمهُ وخطها كرشوني . وهي اثنتان وخمسون ميمرا مصدرة بترجمة حياته من ولادته الى نياحته مع ذكر عجائبه التي صنعها بمدينة نصيبين . ويلي هذه الميامر مديح ثالث القديس غريغوريوس اسقف نيصص في الأب القديس البار مار افرام السرياني (٣ . وفي آخره جاء ما حرفيته

« نجزت واستتمت هذه الاثنين وخمسون ميمر الذي هو ميامر القديس الملفان مار افرام في خامس عشر يوم من شهر ايار المبارك نهار السبت من شهور سنة ١٦٦٢ م . وهو برسم الشماس عبدالله بن ميخايل المكنى قراعلي (هو مطران عبدالله قراعلي مؤسس رهبانيتنا اللبنانية)

١) هذا الكتاب هو غير كتابه العظات الادبية المجلدين الذي ذكرناه بين كتبنا الخطية في المشرق (٢٤[١٩٢٦]: ٦٥٨) . طالع ما جاء من اخبار الاب جوهرجي في الجزء الثاني من تاريخ الرهبانية اللبنانية المطبوع في مصر سنة ١٩٢٥

٢) من هذا الكتاب نسخة في دير مار اليشع بشري للرهبان الحلبيين (راجع المشرق ٢٤[١٩٢٦]: ٧٤٨) ونسخة اخرى في مكتبة كلية القديس يوسف الشرقية

٣) قد نشر هذا المديح في مجلة المشرق (١٩[١٩٢١]: ٤٥٢ و ٥٠٦)

الله جنيه فيه زمان طويل . وذلك على يد العبد الحقير الخاطي . . شماس ابن ميخايل المكنى زنده (حلبي) وقف مؤبد برسم اخوية الرهبان الحلبية في ايام الاب المكرم قس جبرائيل الحلبي وطناً سنة ١٦٦٦ ربانية .

ويلي ذلك « رسالة ارسلها ديونسيوس الكبير الى تيموثاوس الرسول تلميذ بولس السليح من اجل شهادة الرسولين القديسين بطرس وبولس بمدينة رومية العظمى » ثمَّ ٢٩ ميمرًا لمار افرام ايضاً خط كرشوني يختلف عن خط الناسخ الاول . وميمران آخران الاول قالهُ في مجيء ربنا والهنا سيدنا يسوع المسيح في اليوم الاخير الديونة والعذاب المنتظم . والثاني قالهُ على انقضاء العالم . . . ثمَّ وصيتهُ الاخيرة عند موته وجاء في آخرها ما يلي :

« تمت وكملت بعونه تعالى التسعة وعشرون ميمرًا لابينا الجليل في القديسين افرام السرياني ثمَّ ميمراهُ التابعان لهم مع وصيتهِ وذلك على يد أحقر عبادهِ يعقوب القس الراهب الحلبي من اخوية الرهبان الحلبيين اللبنانيين القاطن بومئذٍ في دير القديس مار اليشع النبي الكائن وقوعه في سفح وادي النهر المقدس من جبل لبنان المبارك وذلك سنة ١٧١٠ للتجسد في ثلاثة ايام مضت من شهر كانون الثاني . ولله المجد دائمًا . »

وبعدهُ تاتي « رسالة ايوحنا فم الذهب ارسلها الى بعض محبين المسيح الساكنين في العالم وكان قصدهُ ان يسلك في سيرة الرهبنة فبعث اليه رسالة يستشيرهُ بها فردَّ اليهِ ابينا المعظم في القديسين يوحنا فم الذهب وهو في البريَّة جوابها هكذا . » ورسالة اخرى للقديس مقاريوس ارسلها الى بنيه الروحانيين . هذه هي محتويات هذا الكتاب وهو مجلَّد ضخم وورقه سميك وقد قرض العثّ بعض اطراف ورقه

(للبحث صلة)

مجلة المجلات

للاب فردينان توتل اليسوعي

وصية المطران — شيخ المؤلفين والعاملين — شهادة البروتستانت للمرسلين الفرنسيسكان واليسوعيين — دمعة على الماسونية — الشيوعية في مصر

وصية المطران

صدرت «رسالة السلام» عددها في شهر شباط بترجمة المثلث الرحمات المطران بشاره الشمالي، رئيس اساقفة دمشق على الطائفة المارونية. وُلد في سهيلة (كسروان) في سنة ١٨٧٧، ودرس مدة ١٣ سنة في المدرسة الاكليريكية اللاحقة بكلية مار يوسف للآباء اليسوعيين، ونال شهادة الملفنة في اللاهوت، وسيم كاهناً سنة ١٩٠٠ واسقفاً على دمشق سنة ١٩٢٠، وسعى السعي الموفق في تثبيت الشهداء الطوباويين المسابكيين. وله مؤلفات منها ترجمة المثلث الرحمات المطران جرمانوس الشمالي، وعدة مقالات في المشرق، وكتاب في الشهداء المسابكيين. انتقل الى رحمته تعالى في مدرسة الحكمة في بيروت، في ٢٦ كانون الاول ١٩٢٧. واليك صورة وصيته الاخيرة كما روتها «رسالة السلام»

«اقتبل القربان المقدس لآخر مرة وقال: هذا هو زادي الاخير لانني على ثقة ان اعيّد اليوم عيد الميلاد المجيد في السماء صحبة الملائكة والقديسين ... والتفت الى نائبه وقال:

اني سأموت ولا شك انك تستغرب مقالي. فلا تهلع ولا تخف. نعم كنت احب وارغب من صميم فؤادي ان اعزز هذه الابرشية. ولكن احكام الله لا يدركها بشر. فربما يكون لها موتي ما ارغب. فأنا اقدم موتي فداء عنها. ولي ملء الامل بانني اكون اكبر مساعد لها لدى العزة الالهية التي اسألها من اعماق فؤادي ان تلهم شيخنا الجليل المبجل وعميدنا الوحيد غبطة السيد البطريرك امدّ الله بايامه ليختار لها راعياً صالحاً فيه الكفاءة والافضلية. يقوم بسياستها الروحية ويعززها. فتصبح كالوردة النضرة بين الاشواك بشفاعة شهدائنا الثلاثة المطوبين.

وأما أنا فأموت فقيراً لا أملك شيئاً فالماديات للدنيا وجسدي للتراب وروحي لله خالقها . وعليك اذاً ان تقوم بما اوصيك عن حفلة دفني . واثقل ضميرك به واحذر من المخالفة : ضعوني في صندوق يعلوه المصلوب . عليه مسحة الفقر والبساطة . وانقلوني من هنا الى كنيسة مار جرجس صرباً تخفيفاً على المدعوين وهناك صلوا على جثماني . واستمطروا عليَّ مراحم الله . وعلى الاثر انقلوني الى كرسي الابرشية وادفنوني في مدفن خاص بالقرب من سلفي الثلث الرحمات . واصفحوا عن تقصيري »

شيخ المؤلفين والعاملين

خص الاستاذ عيسى المعلوف في مجلة « الآثار » المرحوم الاب لويس شيخو بمقال مسهب نشره في عددي شباط واذار، وذكر فيه اولاً اصل الفقيد ونشأته، ثم مؤلفاته الدينية والمدرسية والتصانيف الادبية والتاريخية . وقال :

«واقترح على الاب شيخو عزمي بك والي بيروت في اثناء الحرب العامة ان يؤلف تاريخاً مختصراً لبيروت وآثارها القديمة فألف كتاباً بعنوان « بيروت تاريخها وآثارها » فكان هذا التأليف داعياً لفتح « المكتبة الشرقية » التي اقفلت في اوائل الحرب فراجع ما فيها من المؤلفات العربية والاجنبية ووضعه باسلوب جميل ونسي المقترح ان يطالبه منهُ فحفظهُ الى ان طبعه سنة ١٩٢٧ فجاء كتاباً لطيفاً في ١٤٠ صفحة

ولما دعاهُ متصرف لبنان اسماعيل حقي بك باغراء حسين كاظم بك والي سلانيك سابقاً ونزيل بيروت في ايام الحرب الكبرى، ليؤلف تاريخاً للبنان يكون دليلاً عاماً لجميع شؤونه انتخب لجنةً من الكتاب ، ووزع عليها المواد فكتب كل اختصاصي شيئاً منها وطبع باسم « مباحث علمية واجتماعية » عن لبنان سنة ١٣٣٤ هـ (١٩١٨ م) باتقان ورسوم جميلة في ٥٧٥ صفحة

واخذ الاب شيخو مفاتيح « المكتبة الشرقية » لمراجعة المواد لهذا التاريخ المطوّل فحافظ عليها خشية ان تعبث بكتبها ايدي الطامعين . ولا تزال التذكرة التي ارسلها الينا الاب شيخو محفوظة معنا بخطهِ في المواد التي اقترحت الحكومة

علينا كتابتها لهذا التاريخ وكتبناها . فطبع الكتاب بالمطبعة الادبية في بيروت وكتب فيه هذا الاب مقالات وشارك العمل به مع زميله العلامة الاب انطون صالحاني اليسوعي ، فكان هذا الكتاب من ادقّ ما كتب عن لبنان وشؤونه

اما مقالات الاب شيخو فيه فهي : (اولاً) الآثار القديمة في لبنان من صفحة ١٠٤–١١١ (ثانياً) العناصر اللبنانية ومذاهبها الدينية من ص١٨٢–٢٢٥ (ثالثاً) القسم الاول من « لمحة تاريخ لبنان » الى زمن العرب من ص٢٢٥–٢٤٩ (رابعاً) تصرفٌ قليلٌ في مقالة « العلوم والآداب في لبنان وفينيقية » لصاحب مجلة الآثار هذه ص ٤٥٨ (خامساً) لائحة باسماء الكتب العربية والاجنبية التي اعتمد عليها كتاب المقالات من ٥٥٧–٥٦١ وكان يصلح التجربات (البروفات) ويرتب الكتاب مع الاب صالحاني جزاهما الله خيراً عن الادب والادباء بهذا الاثر النفيس »

وقال في اعمال الاب شيخو في اللغات الاجنبية :

« اتقن الاب شيخو اللغات العربية والفرنسية واللاتينية بآدابها قراءة وتكلماً وكتابة ، وألمّ الماماً كافياً لمباحثه باليونانية القديمة والالمانية والانكليزية والايطالية والسريانية والعبرية والتركية ، مما ساعدهُ على فهم آراء العلماء والمستشرقين في العلوم والتاريخ وآداب اللغات الشرقية ولاسيما العربية وتحليل اسماء الاعلام »

وقال في الاب شيخو مؤسس مجلة المشرق وصاحب امتيازها :

« وفي خريف سنة ١٩١٤ طبع معظم الجزء الاخير من سنتها السابعة عشرة واقفلت المطبعة في الحرب الكبرى فطوي ذلك الجزء الى اول سنة ١٩٢٠ فاستأنف الاب شيخو نشر المجلة وطبع الجزء الناقص وبدأ بالسنة الثامنة عشرة وبقي يدبجها بقلمه ويقترح الموضوعات على زملائه الرهبان واصدقائه وعندنا بخطه بعض الرسائل التي اقترح علينا فيها مقالات نشر معظمها في المشرق كنصرانية امراء لبنان وغيرها

وكل من طالع المشرق ورافق ظهورها باوقاتها وقرأ مقالاتها المتنوعة المفيدة عرف ما عاناهُ في ترتيبها وتعريب مقالات كثيرة لها ووضع فهارسها وما نالت

من المكانة السامية لدى المجامع العلمية الكبرى والمستشرقين حتى بادلتها المجلات الاسيوية الفرنسية والانكليزية والالمانية والنمسية والايطالية والاميركية، واهديت اليها اهم المؤلفات التي ظهرت في العالم الشرقي والغربي فقرّظتها وانتقدتها معجبة بها في خدمة الشرق وآدابه وتوثيق الصلات بينهُ وبين الغرب . وقد ختمها هذا الفقيد بمقالة في «مجلة الشرق في ربع قرن» لخّص فيها نشأتها وتطوراتها مما يدل على جهادهِ في خدمتها وثباتهِ في كتابتها وجعلها معرضاً لافكار اكبر الكتاب واعظم المنشئين»

وتكلم صاحب الاثار في المكتبة الشرقية فقال :

«وفي الخزانة الشرقية اكثر من ثلاثة آلاف مخطوط في العربية والسريانية والكلدانية والتركية والفارسية وقليل منها باليونانية والقبطية والحبشية ومعظمها بالعربية وعلومها وقد حافظ الفقيد عليها اشد المحافظة ولاسيما في اثناء الحرب العامة لما اقفلت باقفال ديرهم الكبير في بيروت فبقي هو مع بعض الآباء ملازمين بيروت واقفين بالرصاد لكل حركة تتجه اليها مستقصين اخبار من يزورها ويأخذ منها كتباً

وما كنت ازورهُ مرّة الّا وهو يختاف من غرفة عمله الى غرف الخزانة يراجع ويطالع ويجتني وينقل بعض ما يحتاج اليه بيده الى غرفته ويعيده كذلك . واذا طلبتُ منه كتاباً لاطالعهُ صعد على السلّم بخفةٍ وناولني اياهُ بلمحة طرف، ووضع لهذه الخزانة برامج مرتبة طبع منها اربعة اجزاء

وكان شديد الحافظة غريب الذكر لكل كتاب ومكان ومحتوياته حتى يعين الصفحة منه ووجهتها ايضاً لمن يسألهُ . وكان لا يضنّ على من يريد مطالعة شيء منها وذلك من عجيب ما يعرف عن غواة الكتب ومحبيها وجامعيها »

وتطرّق الى وصف اخلاق الاب شيخو وعاداته فقال :

« كان هذا الاب رحمه الله دمث الاخلاق لطيف العشرة بشوش الوجه باسم الثغر مع كثرة انهاكه بالتأليف والمطالعة فلا تراه الّا بين الكتب المنضدة واضابير الاوراق تحدق به كالتلال وهو يتنقل بينها تنقل المتنزه في الحديقة الغناء طروباً بجلّ ما احتاج اليه من المباحث . واذا خرج من غرفته فقلما تخلو

يده من ورقة او كتاب وهكذا في تخطره بساحة (كلية القديس يوسف) ذهاباً واياباً الى المطبعة . فاحسن استعمال وقته ولم يضيع منه دقيقة

ولم يكن له عادة خاصة بل كان يكتب واقفاً او ماشياً في غرفته او في المطبعة سريع الخاطر وهذا مما يساعد المؤلفين على الاعمال الكثيرة ولاسيما من كان كالفقيد يكتب بسرعة وسهولة واطلاع كاف وبدون قيد يوقف مجرى القريحة السيالة مع تمتعه بصحة البصر والجسم

وكانت خطته في تآليفه افرنجية الاسلوب في التحقيق والاسناد والترتيب والتصوير ووضع التعاليق والاستدراكات والفهارس وممارضة النسخ المختلفة وكان يعتني باصلاح التجربات (البروفات) ويدقق فيها وله انتقادات وتحقيقات في اصول الالفاظ ولاسيما الاعلام وفي المباحث الكثيرة والمؤلفات وآراء سديدة في كثير من الموضوعات

وكان ينام والكتاب بيده ويقوم باكراً وهو رفيقه فبعد اتمامه واجباته الرهبانية ينكب على عمله بكل رغبة ولذة فلا يضيع فرصة يفيد فيها او يستفيد

واهم عاداته كثرة المطالعات والمراجعات والتنقيبات والعمل الدائم بجلد غريب وثبات عجيب مما ساعدته صحته القوية عليه

وعلى الجملة فان الاب شيخو كان جباراً بعمله عاملاً بعلمه مشهوراً بآثاره واخلاقه وآدابه مفيداً مستفيداً واسع الاطلاع قوي الذاكرة سريع البادرة جيد القريحة يكتب كيف شاء واينما كان بدون تريث ولا تمهل فلا غرو اذا كان «شيخ المؤلفين والعاملين»

رحمه الله رحمة واسعة عداد حسناته واعاض الادب بامثاله العلماء الاعلام المجتهدين الثابتين»

شهادة البروتستانت للمرسلين الفرنسيسكان واليسوعيين

ان مجلة «الشرق والغرب» لسان حال الارسالية البروتستانتية في مصر، نشرت حياة القديس فرنسيس كسافاريوس اليسوعي رسول الهند واليابان على التتابع في اعدادها وتكلمت في عدد نيسان (ص ١٢٧ - ١٢٨) عن «طريق الملك - طريق الالم» الذي لا بد للمسيحي ان

يسلكه وهو طريق الصليب فذكرت الشهداء الذين افتدوا ايمانهم بحياتهم وقالت :

واذا تأملنا قليلاً نجد ان يسوع المسيح نفث في روح تلاميذه الاولين ان لا ينتظروا من وراء السير معه الا الاضطهاد والالم والحزن في حياتهم . وصارحهم قائلاً ان العالم سيبغضهم من اجل اسمه . وقد استشهد فعلاً كثيرون من المسيحيين في القرون الثلاثة الاولى التي تلت صلب المسيح

وقد كان الاضطهاد نصيب كثيرين من اتباع المسيح في القرون المتأخرة واستشهد في سبيل نشر دعاية الانجيل آلاف من المرسلين . ولدى بعثات الفرنسيسكان والجزويت سجل حافل باسماء شهدائهم المرسلين

ومات في القرن السابع عشر في بلاد اليابان مئات الالوف من المسيحيين بسبب اعتناقهم الديانة المسيحية . وهنا نورد بياناً مؤثراً عن الذين ماتوا في جبل الشهيد في نجاسكي (بلاد اليابان) حيث اعدم اثنان وخمسون من الكهنة والعلمانيين والنساء والاولاد جاء فيه : « ظلوا ينشدون ويرنمون حتى خانتهم اصواتهم ومع انهم لم يكونوا موثقي الاغلال وكانت فرصة الهرب سانحة امامهم لم يجرأ واحد منهم على الافلات بل سلم الجميع حياتهم فائزين منتصرين على الموت »

واننا نشكر لله عنايته بتمجيد شهدائه حتى جعلهم نوراً وقدوة للمسيحيين ونسأله ان يكشف عن قلوب اخواننا المنفصلين القناع الذي يحول دون اتحادهم واياناً بوحدة الايمان

دمعة على الماسونية

وصفت « مجلة المعارف » حالة الشقاء التي آلت اليها الماسونية في سورية ، فقالت (شباط ١٩٢٨) :

اصبحت محافلنا ، مع وفرة عددها ، قليلة المنفعة وصار عدد من يحضر المحافل يقل عاماً عن عام والسبب في ذلك يرجع الى ما يأتي :

١) وفرة عدد المحافل ، وعددها في بيروت فقط ١٤

٢) الفوضى في المحافل فاذا ما بحثوا في أمر ، تحمسوا وصفقوا ، ولا تسفر اجتماعاتهم عن جدوى

٣) ان الذين دخلوا العشيرة « اكثرهم وُجدوا ليكونوا آلات مسيّرة بيد زعماء المحفل . . . انا اعرف اناساً يجادلون ويعترضون في المحفل على كل متكلم وهم لا يفقهون معنى ما يقولون ، يعترضون ويجادلون وسيدهم الرئيس يبسم لهم بينما هو يسكت من ليس من حزبه اذا احتجوا عليهم »

٤) الاعضاء فضلهم مجهول ، فلا احد يكترث لاعمالهم اما الرؤساء فلهم وحدهم الاوسمة وامامهم تُطأطأ الرؤوس

٥) صندوق المال بيد انفار يتصرفون به كيفما يشاؤون

٦) التعصب الديني : فالمسلم والارثوذكسي والدرزي والبروتستاني واليهودي لا ينسون دينهم اذا ما دخلوا المحفل

ولصاحب المقال ملحوظات غيرها فالاخيرة منها وهي الثانية عشرة ، يطالب فيها بالقصاص القانوني للمقصرين في الماسونية

ويختم كلامه قائلاً

« هلاذه محطه [كذا] يقولها رجل هو اخلص ابناء العشيرة لها ، اخ يبذل روحه وماله في سبيل اعلاء منارها ورفع كلمتها وما دفعه الى ذلك غير غيرة تلهبه لرفع منارها »

مسكين ابن الارملة !

الشيوعية في مصر

نشرت التيمس تلغرافاً لمكاتبها في القاهرة قال فيه ان الشيوعية ستبلغ حدّاً خطراً في مصر في المستقبل القريب ، اذا لم تتخذ التدابير الشديدة لمكافحتها . فان بعض الشبان المصريين ، الذين سافروا سنة ١٩٢٢ على حساب السوفيت ، وتعلموا في كلية موسكو لنشر الدعاية البلشفية في الشرق ، عادوا الى مصر واظهروا انهم ذوو مقدرة ونشاط في نشر الدعاية . ولا يزال غيرهم من الشبان المصريين يتلقون الدروس في موسكو ، ويحتمل ان يستمرّ سفر المصريين الى موسكو لتلقي الدروس فيها استمراراً مطرداً في السنوات المقبلة . ووجود عنصر شيوعي مهم في فلسطين يقوم بوظيفة ادارة البريد بين القاهرة وموسكو يزيد الصعوبات في وجه ولاة الامور المصريين

وجاء في الجرائد ان البوليس المصري هاجم صباح يوم الاربعاء ٩ ايار عدة منازل في القاهرة وضواحيها يقطنها جماعة من عمال البلاشفة الاجانب ، فضبط وثائق تثبت قيامهم ببث

الدعوة الشيوعية وضبط مطبعة لنشر مطبوعاتهم

وفيما نحن نقرأ هذه الاخبار، اذ وقعنا على مقـال في الهلال (ايار) خصته الزميلة الغراء بذكر «مكافحة روسية للامية»، والطراء «بجهود الشيوعيين في تعليم الامة». وقد استقت معلوماتها عن مقال ارملة لنين الزعيم الاحمر الشهير، وقابلت بين «التعليم مدة القيصر» والتعليم على عهد البلشفية وتكلمت في عناية الشيوعيين بالاطفـال قبل المدرسة، وفي مكافحتها الامية، وعرضت الموضوع باسلوب يترك في العوام من القراء هذا التأثير: ان البلشفية لشيء مستحسن. فاستغربنا قراءة مثل هذ المقال، بينما رجال الشرطة يتعقبون دعاة البلشفية في مصر فهو بغير ارائه فضلًا عن انه مخالف للحقيقة

وما هي الحقيقة؟ ان البلشفية فتحت ابواب المدارس على مصراعيها للناشئة باجمعها، لكنها لم تسعَ بتلقين العلوم على اسلوب صحيح يبلغ المراد. قـال «فيدوروف» صاحب الكتاب: «روسية تحت حكم الشيوعية» (١ في العام ١٩٣٠، كان في روسيا الوسطى ٨٦ بالمئة يفقهون القراءة والكتابة بين الاولاد المتراوح عمرهم بين ١٢ و ١٦ سنة. وقد تلقنوا علمهم في المدارس «مدة القيصر» وكان ٥٥ بالمئة من الاولاد الذين يتراوح عمرهم بين ٨ و ١٠ سنوات يرتادون العلوم من المدارس الشيوعية

ثم ازداد عدد طلبة المدارس البلشفية لكنهم لم يستفيدوا من اسلوبها بالتعليم قدر ما استفاد التلامذة الذين تلقنوا العلوم خارجاً عنها وقد كان الفوز بالامتحانات حليف المدارس الغير المنتمية الى الاحزاب الشيوعية

واطرأت الزميلة عناية البلشفية بالاطفال لكن زعمها باطل واليك ما روي من الاحصاءات في جريدة (Pravda) البرافدا في ١٦ كانون الثاني ١٩٢٥: بلغ في العـام ١٩٢٢ عدد الاولاد المصابين بفقر الدم في موسكو ٢١,٩ بالمئة ١٠,١ في العام ١٩٢٤ فقـد بلغ عددهم ٢٣,٣ بالمئة. وكان ما بينهم ٣٠,٥ بالمئة مصابين باضطرابات بالجهاز القلبي، فبلغ عددهم ٣٦ بالمئة، في العـام ١٩٢٤

اما الحياة في العائلة، وسلطة الابوين، وهيبة الاساتذة، وروح النظام، فهذه مبادئ تنتقدها البلشفية متاكـنة لمبادئها وتبذل مجهودها في محاربتها كما انها تحاول اطفاء كل حياة دينية في القلوب.

ومن الطريف الطريف ان مجلة «الهلال» صدّرت بصورة ملك مصر عددها الذي اطرأت فيه اعمال الشيوعية

---

(1) Feodoroff: La Russie sous le régime communiste. Nouvelle librairie Nationale, 1926.

مطبوعات شرقية جديدة

Gutberlet (C.) : Das zweite Buch der Machabäer. [*Alttestam. Abhandl., X, 3-4*] ; 219 *pp. gr.* 8^e^, *Münster, Aschendorff*, 1927 ; 8 *M^k^*, 40

بحث في كتاب المكابيين الثاني

هذا المؤلَّف في شرح الكتاب المقدَّس . وهو حلقة من سلسلة كاثوليكية نفيسة ، بدأ بها المأسوف عليه الاستاذ ج. نيكل (Nikel) ويديرها اليوم الاستاذ ا. شولتز (Schulz) من برسلاو ، واسم هذه السلسلة «مفكرات في العهد العتيق » (Alttestamentliche Abhandlungen) وهي واسعة الانتشار. ونحن اليوم نسرّ بان نتقدّم للقرّاء هذا البحث في كتاب المكابيين الثاني ، وهو تابع ما كتبه المؤلف سابقًا ، في السلسلة نفسها ، عن كتاب المكابيين الأوّل. واذا عرفنا ان مؤلف الكتاب ، الدكتور غوتبرلت ، وهو من اساقفة البلاط البايري ، دخل في سنّ التسعين في شهر كانون الثاني من السنة الحالية ، عجبنا كيف امكنه الوقوف على طبع كتاب كبير كهذا نرى فيه جميع الصفات التي انالت قسمه الاول ذاك النجاح الباهر.

يتسع المؤلف ، في المقدّمة ، في ما يحتويه كتاب المكابيين الثاني ، وما يرمي اليه ؛ وفي ثقته التاريخية ، واللغة التي كُتب فيها اوّلاً ، ومؤلفه ، وتاريخ تأليفه . ثم ينتقل الى نشر النص اليوناني ، مردفًا اياه بترجمته الالمانية ، معلقًا عليه الشروح العديدة ، وفيها مقابلات لا غنى عنها مع نصّ النسخة العاميّة اللاتينيّة (Vulgate) وغير ذلك من النسخ . وهو يتوقف عند المعنى الدقيق للكلمات والتعابير اليونانيّة ، ويفند حجج من رأوا وجوهاً للتضادّ بين كتابي المكابيين ، فاسباباً للشك في صحة نسبة الثاني وتاريخيته . وليس لنا في اللغة العربيّة شرح للكتاب المقدّس من هذا النوع في متانته ، ووضوحه ، وترتيبه ورزانته . فهو من هذا القبيل مثال يُقتدى بهِ في افادة القرّاء الدارسين ، ولاسيا الاكليريكيين والكهنة.

س. ر.

Wiedemann (A): Das alte Aegypten (*Kulturgesch. Biblioth. herausg. von W. Foy. 1 Reihe, Ethnol. Bibl.* 2), *mit* 78 *Text- und* 26 *Tafel-Abbild.; XV-446 pp. in-*12; *Heidelberg, C. Winter*, 1920

مصر القديمة

لم نقدر ان نتحدَّث الى قرّائنا قبل اليوم، عن هذا الكتاب المؤلف سنة ١٩٢٠، ولكن الكلام عن الكتب الحسنة يكون دائماً مقبولاً. ان مكتبة هيدلبرغ الشهيرة للسيد كارل ونتر، كلّفت الاستاذ و. فوي نشر مجموعة تبحث في المدنيات. والكتاب الذي نتكلم عنه اليوم هو الثاني من قسم الابحاث في السُلالات البشرية (ethnographie) من تلك المجموعة التي تنال دروسها كل الشرق القديم. وسنتكلم قريباً عن كتاب آخر في مدنيات ما بين النهرين القديمة (شُومر، وبابل) ومدنيات اشور. اما الكتاب الحاضر فهو من قلم احد كبار علماء المصريات الذي تفتخر به المانيا العصرية، وهو من اقدم المهتمين بالعلوم المصرية عامةً. وهذا يكفي للاشارة الى ان في الكتاب ما يُرجى من صفات التدقيق والمتانة. وفضلاً عن ذلك فان المؤلف، الاستاذ ويدمان، لا ينتمي لحزبٍ من الاحزاب، فهو بعيد عن المدرسة الانكليزية لدرس الماديات المصرية، وبعيد عن المدرسة الفرنساوية، ولعلهُ ابعد عن المدرسة البرلينية، وهو مستقل لا يسكن الا الى الشيء الوضعي والقول المعقول. وعليه فيمكن لكل انسان، اذا ما تبعهُ، ان يثق انهُ على الطريق المستقيم. والكتاب، وان لم يكن مكتوباً للاختصاصيين الذين يرون فيه على كل حال فوائد جمة، فهو يتطلَّب قارئاً دارساً فوق المعتاد. لانهُ يعتبر، عند المطالع، عادة الدرس العلمي في محيط التاريخ، والاثريات، ودرس السُلالات. وبناء على ذلك يبتدئ المؤلف بمقدمة قصيرة وشاملة يذكر فيها مآخذ الكتاب العلمية، القديمة والحديثة، لكل موضوع بمفرده. وهذه المواضيع المرتّبة ترتيباً حسناً، تبدأ بلمحة عامة على البلاد، والنيل، والسكان ثم تذكر العصور السابقة التاريخ، وتكوين الشعب المصري؛ ثم الحكومة، والملك، والهيئة الاجتماعية، والحياة اليومية، والموت، واللباس، والسكن، والحروب، وصيد الوحوش والطيور والاسماك، فالتجارة والزراعة، والغذاء،

والصناعة . واخيراً الديانة والفنون والآداب : كالخط واللغة والعلوم المختلفة . والكتاب مزيّن بأكثر من مائة رسم في لوحات منفردة ، او وسط النصّ . فنحن نقدّم للطابع وللمؤلف العالم الخاص تهانينا . س . ر .

Ter Haar. C. SS. R.: De Occasionariis et Recidivis juxta doctrinam S. Alphonsi aliorumque probatorum auctorum; *Marietti* 1927 *XVI, 448 pp. Prix 30 Lires*

اسباب الخطيئة وتعوّد السقوط فيها

قد يجد الكاهن في كرسي الاعتراف نفوساً بعضها لا يكاد يستطيع اتقاء حبائل الشيطان اما لضعف الارادة واما لتسلط الظروف . وبعضها ، وهم كثيرون ، يسقطون بخطيئة مراراً فيتعوّدونها ويُمسون اسرى قيودها . كيف يعالجهم الكاهن ؟ هل يمكنه حلّهم كلما تقدموا الى الاعتراف وهو يتوقع عودتهم الى سالف خطاياهم ؟ وكيف يرشدهم ؟ والى اي طريقة يهديهم ؟ هذه سؤالات خطيرة كثيراً ما تلقي الكاهن في لجة الوجل والريبة، وقد اسهب اللاهوتيون بالجواب عليها في فصل التوبة من اللاهوت الادبي . وخصها بيارد بمؤلف كامل دعاه (De Recidivis et Occasionariis) على ان حضرة الاب « تيرهار » قد عاد الى الموضوع وعالجه وتبحر فيه والم به من وجوهه كافة ، فبسط تعليم القديس الفونس دي ليكوري وامعن النظر فيه وشرحه شرحاً وافياً وبرهن عليه بادلة قوية وطبقه على احتياجات الزمان الحاضر ، واشفعه باقوال اللاهوتيين على تنوع مذاهبهم ،ومنهم كثيرون يوافقون على آراء القديس الفونس وانما لمسائل انا نحن بحاجة دائمة الى حلّها . وقد توسع المؤلف بوصفها وتبسط في شرحها وتعمق في كشف غوامضها فاحتوت من ثم وسائل عديدة يمكن المرشد استخدامها في معالجة دائنا العصري وهو تواتر السقوط في الخطيئة من جراء كثرة الظروف وضعف الارادة . وقد يؤاخذ الكتاب بشيء من الشدة والعنف ومن الممكن تفسير المؤلفين الاقدمين على خلاف ما فسرهم . على انه ينبه الكهنة المعرّفين الى الفطنة في تطبيق المبادي فيقيهم خطر التطرف في الحكم ويرشدهم الى اصابة المرمى ي . م .

L'Islam et les missions Catholiques. *Conférences données à l'Institut catholique de Paris*, 1926-1927. *in*-12 *de* 329 *pp*. 1627. *Par is, Bloud et Gay.*

الإسلام والإرساليات الكاثوليكية

يحتلّ الإسلام مركزاً مهماً في التاريخ والجغرافية · وفي امكنة عديدة نزى اوربا عامة ، والارساليات الكاثوليكية خاصّة، واقفة تجاه هذا الاحتلال. فما هي الطريقة التي يجب ان يُسار عليها في هذا الامر ؟ هذا ما ردّده كثير من رجال الارساليات وارباب الاعمال على انفسهم فاجتمعوا وتبادلوا نظراتهم المختلفة. ويرى المطالع في هذا الكتاب عشر محاضرات بعضها في مواضيع الاسلام العامة وبعضها في البلاد خاصّة كالعجم ، والهند ، والسنغال ، والنيجير ج. ل.

Emile Henriot : L'art de former une bibliothèque. *in*-12 *de* 166 *pp*. 1928. *Paris, Delagrave*

كيف تؤلف مكتبة!

كتاب صغير لم ينتبه فيه صاحبه الّا الى سهولة المطالعة ، فسرد اسماء كتب عديدة منذ القرن السادس عشر الى ايامنا ، وقسمها الى طبقات : كالروايات ، والشعر ، والتاريخ ... ثم قسم كل طبقة الى ابواب (A, B, C...) ولكنه نسي ان يذكر كتب الدين ، وان يشير الى قيمة الكتب التي يوردها ، فاتت مختلطة تام الاختلاط. ج. ل.

G. Legaret : Histoire du développement du commerce depuis la chute de l'empire romain jusqu'à nos jours. *in*-12° *de* 480 *pp*. 1927. *Paris, Libr. Paul Belin*

تاريخ ترقي التجارة منذ سقوط الامبراطورية الرومانية الى ايامنا - -

كتاب مفيد ، ليس فقط للتلامذة والطلّاب ، بل ايضاً لاهل العالم الذين يجهلون كثيراً من المعارف فيما يختص بهذه المواضيع . وقد قُسم الكتاب الى اربعة فصول : القرون الوسطى ، الطور العصري ، الحقبة من ١٨١٥—١٨٧٥ ، ثم من ١٨٧٥ الى ايامنا . وفي كل فصل يعرض الكاتب المميزات العامة ، ويُنهي بذكر المآخذ ... ج. ل.

Arcangelo Ghisleri : La Libia nella storia e nei viaggiatori *vol. in-12 illustré de plusieurs cartes hors texte, Milano, G.B. Paravia et Cie* 1928. L. 17,50

ليبية في التاريخ وفي نظر الرحّالة

ليبية هي البلد من افريقية الشمالية الـذي كان يُدعى حتى اليوم برقـة وطرابلس الغرب . اراد الايطاليون احيـاء الاسم القـديم فسمّوه « ليبية » بطريقة رسمية . وعليه كان من اللازم ان يُذكر ما قالـه التاريخ وخصوصاً الرحّالة عن هذا البلد . فظهر هذا الكتاب النافع لانه جمع النصوص المتفرّقة . فبـدأ مؤلفـه بذكر آراء اليونان (هوميروس وهيرودوت) والرومـان ، والبيزنطيين ، من جغرافيين وشعراء . وهذا العصر خاصّة غنيّ بالافادات ، وهو العصر الذي ترك الآثار المديدة لعلم العاديّات . ولكنه لم ينقضِ حتى دخلت ليبية في ظلام دامس . بيدَ ان نورمان صقلية ، وجمهوريات ايطالية ، وبعض المسافرين اجتهدوا في اقامة بعض العلاقات التجارية والعلمية مع تلـك الارض التي كان عليهم ان يكتشفوها من جديد ، ولكن تجرباتهم هذه لم تدم زمناً طويلاً . اما اليوم فان ليبية تستيقظ لتسترجع مركزها بين البلاد المكتنفة البحر المتوسط ، فتُنيل مياهها وشواطئها حركةً جديدة

ج . ل

A. Vigourel S.S. : Liturgies et spiritualités : origines apostoliques. *in-8e de* 275 *pp.* 1927. *Paris, de Gigord*

ليتورجيات وروحانيات : اصولها الرسولية

قضى مؤلف هذا الكتاب سنين عديـدة معلماً في المدارس الاكليريكية الكبرى ، فاراد ان يبيّن ترقّي الليتورجيات ، وتأثيرها في الروحانيات ، جامعاً موادّ بحثه من العناصر الاولية لذبيحة القداس ، وتقديس التقدمات ، والصلاة الربية . وقد قسم كتابه الى ثلاثة اقسام درس فيهـا : التقليـد الشفوي ، والتقليد المكتوب ، والتقليد المطبّق في الحيـاة العملية . جال في كل ذلـك بجدارة وتقوى ظاهرتين

ج . ل

G. Grosjean: Le sentiment national dans la guerre de cent ans. *vol in-12 de* 232 *pp.* 1928. *Paris, Editions Bossard*

عاطفة الوطنية في حرب المئة السنة

طالما أثّرت في تاريخ الوطنية الفرنساوية مذاهب فاسدة وسيئة القصد . وحتى

الان لا تزال ترى في كتب التلامذة ذاك الزعم الفاسد ان الوطنية في فرنسة لم تولد قبل عيد الاتحاد ، اي قبل ١٤ تموز ١٧٩٠ . مزعم فاسد ، كما قلنا ، لانه لا يحتمل البحث ، فاي عصر درسناه من تاريخ فرنسة نراه معاكساً لهذا الزعم . وقد اظهر المؤرخون ذلك فيما يخص عصر كلوڤيس وشارلمان . وهذا كتاب يدرس الامر نفسه في عصر مضطرب غامض ، عصر حرب المئة السنة العظيمة بين فرنسة وانكلترة، حيث كادت تهوي فرنسة لولا تدخل جان دارك ، وحيث احتمل العامة والفلاحون عذابات وآلاماً لا توصف، ليس خدمة للمصالح الخاصة بالاسر المالكة بل كي يمنعوا العدو من اخذ قطعة صغيرة من ارض فرنسة . ولقد كان الفضل في استعمال كل هذه القوى الشعبية لجان دارك التي ارسلتها العناية الالهية آية النصر اجابة للصلاة الوضيعة السرية التي كان يصعدها ملك بورج المسكين . وعلى الجملة فان هذا الكتاب يؤلف فصلاً من ذاك السفر الجليل الذي لم يكتب بعد عن تاريخ العاطفة الوطنية في فرنسة ج . ل

آثار الزعيم سعد زغلول — عهد وزارة الشعب

مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة

١٣٤٦ هـ - ١٩٢٧ م

ما من كاتب اجدر بجمع آثار سعد زغلول من السيد محمد ابراهيم الجزيري « سكرتير سعد زغلول الخاص في رئاسته للوفد المصري ولمجلس النواب » فجمع آثار « الرئيس الجليل » خطباً ووثائق ومذكرات سياسية وادارية واجتماعية . وقد اخذ ينشرها اجزاء متتابعة من غير ان يلتزم فيها الترتيب الزمني بل « بدأ بالاهم فالمهم . »

على ان مطالعة الجزء الاول من هذه المجموعة تبين ان الوثائق مضمومة فيه طبقاً لزمان ظهورها . وهي ليست بتاريخ بل فيها ما يساعد على كتابة تاريخ حياة زغلول باشا وحوادث مصر في العام ١٩٢٤ . وان لفي اقوال واعمال الزعيم المصري وموقفه السياسي، عبراً ومرامي مفيدة . فانه لم يكن رجل الثورة والانقلاب ورسول الحرية بلا قيد . واليك ما قاله في البارلمان في حرية الاجتماعات والمظاهرات

(وجه ٢٨٥) « حسن ان نكون احرارًا ، ولكن هناك بلادًا سبقتنا في الحرية وهي مع ذلك قد اضطرت الى اخذ احتياطات حتى لا يساء استعمال الحرية ، وجدير بنا ان نقتدي بتلك البلاد الحرة ونتخذ الحيطة لما عساه ان يقع من الحوادث المكدرة ». وقال للازهريين (وجه ٣٧٧) لما اضربوا احتجاجاً على سياسة الحكومة : « حركة الاضراب ليست في مصلحة القائمين بها ولا هي من مقتضيات العطف على مطالب الازهريين... فاحتفظوا بمصلحتكم بقدر احتفاظي بها ولا تطلبوا علاج الامور من ناحية غير مشروعة »

وخطب في مجتمع للسيدات فقال : « انني اعبر لكنّ عن سروري برؤيتكن راغبات في المعاونة في العمل الاجتماعي والفكري المفروض على الجميع »

وترجم المؤلف أسرة الرئيس عرضاً في خلال الكتاب ويا ليته صدر بها الكتاب واتخذ من ثم فرصة للالمام بحياة زغلول الماماً وجيزاً شاملاً

ف . ت

العقل الباطن او مكنونات النفس

تأليف سلامه موسى

عنيت بنشره ادارة الهلال بمصر ١٩٢٨

لولا ان مجلة الهلال رغبت الينا في التنويه بهذا الكتاب لامتلناه؛ وهو دون ما كان يرجى من الزميلة ، هدية الى مشتركيها لانقة بكرامتهم . عالج فيه مؤلفه النفسولوجية اعني البسيكولوجية فخاض غبارها ، ولم يكن من رجالها ، فاكتفى بتعريب تعاليم الدكتور فرود الشهوانية ، وهي مزاعم احدثت ضجة عند ظهورها ثم أسدل عليها ستر النسيان ورغب عنها المفكرون من اي ملة او مذهب كانوا . ل . ش

تاريخ الموصل

لمؤلفه القس سليمان صائغ

الجزء الثاني ، طبع في المطبعة الكاثوليكية ببيروت سنة ١٩٢٨ (ص ٢٩١ قطع ثمن)

وصف المشرق (نيسان ١٩٢٤) الجزء الاول من هذا الكتاب وها هوذا الجزء الثاني. يدور فيه البحث على الحركة الادبية في الموصل مع ذكر نوابغها

قال المؤلف في مقدمة الكتاب :

وجرينا في تبويبه على نسق الجزء الاول متبرين عصور الدول التي حكمت الموصل فمُنينا في جمع شتات المؤلفين والادباء الموصليين من بين صحف الكتب الضخمة وجعلناهم من اهل العصر الذي فيه قضوا نحبهم واعتنينا خاصة في احياء ذكر المؤلفين والادباء الذين نبغوا في العصر التركي . . . ونشرنا شيئاً من آثارهم على قدر الاستطاعة

في الكتاب نظرات عامة في تاريخ الآداب واستطرادات في ذكر اسماء من ليس لهم علاقة بالموصل الا لكونهم نطقوا بالضاد ونالوا شهرةً في تاريخ اللغة مثل امرىء القيس ، وابن المقفع ، وابن رشد ، وغيرهم

وفصل المؤلف العلماء الآراميين عن غيرهم وخصهم بالذكر على حدة في كل عصر من العصور وبينهم المسيحي والمسلم وتآليفهم عربية محضة . فلمَ ذلك الاختصاص ؟ وقد يكون موقع الجداول النسبية لبني حمدان وبني عقيل وبني اتابك آثر له في الجزء الاول منه في الجزء الثاني . على ان تلك هنات يضرب القارئ صفحاً عنها اذا ما درس الكتاب وهو حافل بتعليقات وفوائد لا تحصى تشهد لصاحبها بطول الباع في التنقيب والمطالعة والتحرير ف . ت

هدايا أرسلت الى المشرق

⟵ بطل المحبة الخالد القديس منصور دي بول ⟶ تأليف الاب يوسف علوان اللعازري المطبعة الكاثوليكية بيروت ١٩٢٧

⟵ حياة القديس يوحنا الرحوم بطريرك الاسكندرية (٥٥٢ - ٦١٦) ⟶ للارشمندريت ارسانيوس عطية مطبعة القديس بولس في حريصا لبنان

كتيبان لطيفان يدعوان الى اقتناء امثال القديسين البطيـين بحبتهما للقريب فـا احلاهما جائزتين في ايدي تلامذة المدارس

⟵ كلمات جبران خليل جبران ⟶ جمعها من مؤلفاته المختلفة الارشمندريت انطونيوس بشير عني بنشرها الشيخ يوسف توما البستاني صاحب مكتبة العرب بالفجالة بمصر

ان قدس الارشمندريت لهو رجل الله ومزين بسمة الكهنوت المقدس وبمواهب العلم البشري ، فيا ليته يستخدم معارفه البشرية في خدمة النفوس المتعطشة الى قراءة الكتب الروحية فيجمع ويعرب لها اخبار القديسين واقوالهم ، فلا يشكر عليه احد اعماله لكلمات جبران خليل جبران « ورمله وزبده »

⟵ المنير في تربية دود الحرير ⟶ بقلم الاب الياس بكينا مطبعة الاجتهاد بيروت ، ثمن النسخة ٢٥ غرش سوري

شذرات

يوبيل الاستاذ جبر ضومط

مساء السبت الواقع فيه الثامن والعشرون من شهر نيسان الفائت ، احتفل في الجامعة الاميركية بيوبيل الاستاذ جبر ضومط الذي قضى خمسين سنة يخدم اللغة العربية بالتدريس والتأليف . وقد حفَّ بهِ جمع غفير تقدَّمه رئيس الجمهورية ، ورئيس الوزراء ، ورئيس المجلس النيابي ، وبعض كبار الموظفين . فُتحت الحفلة بالنشيد اللبناني ، ثم تعاقب الخطباء فابانوا مناقب الاستاذ وفضله مهذباً ، ومؤلفاً ، وبحّاثاً . وفي اثناء ذلك قلَّده رئيس الجمهوريَّة وسام الاستحقاق اللبناني . وختم الحفلة نجل صاحب اليوبيل اميل افندي فالقى كلمة الشكر . وقد طبع حضرة جورج افندي باز سيرة المحتفل بتكريمه في كرَّاس على حدة اهدى الينا منهُ نسخة . فنشكر لهُ هديتهُ كما اننا نقدّم تهانئنا القلبية للاستاذ الكريم داعين ان يكثر الله من العلماء امثاله في بلادنا .

كنز اليسوعيين

لم يكن ليخطر على بالنا ان مجلة المقتطف تلقي كلامها جزافاً لتعبث بقرائها ، فانها روت في عدد نيسان ١٩٢٨ في باب الاخبار العلمية [كذا] حكاية تناقلتها الجرائد ، وهي احرى بان تدخل في باب الروايات منها في باب العلميات . وقد جرت في بلاد بوليفية اي في اميركا بلاد العجائب والغرائب ، قالت : « ان اليسوعيين في العام ١٧٧٨ دفنوا في بوليفية كنزاً تقدر قيمته بزهاء اثني عشر مليون جنيه وان بعضهم ألَّف شركات لاكتشاف ذلك الكنز وقد اخذت تلك الشركات تهتدي الى ضالتها المنشودة » . فمن اراد زيادة تعليمات عن هذا الحادث الخطير فليراجع زميلتنا في القطر المصري

ه . ل

سؤالات وجوابات

سألنا من حلب احد افاضل الكهنة :

١ً هل كان زواج الامبراطور نابوليون الاول مخالفاً للقانون ؟ وان كان ذلك فما بال البابا لم يحتج عليه ؟

الجواب : نعم قد كان الزواج مع الارشيدوكة ماريا لويسا مخالفاً للقانون وقد احتجّ عليه البابا . لكنه كان اسيرًا في قبضة الامبراطور ، فضُرب صفحاً عن احتجاجه . ومن اراد الالمام بهذا المشكل فليطالع كتاب فلشنجه : « طلاق نابوليون » Welschinger: Le divorce de Napoléon. Paris, Plon 1889

ل . ه

٢ً ان الرباط عن الالهيات (suspensio a divinis) انما هو قصاص ثقيل على الخطأ الثقيل . فهل يستطيع الكاهن المربوط عن الالهيات ان يتقرب ويتناول جسد الرب قبل ان يتوب ويفكّ سبب « الرباط »

الجواب : ان التأديبات نوعان بعضها يمنع عن التقرب من الاسرار ، كالحرم مثلًا ، وبعضها لا يمنع عنه كالرباط عن الالهيات .

فمن ناله الحرم لا يستطيع ان يُحل من خطاياه قبل ان يُفكّ من الحرم بحلة خاصة .

اما المربوط عن الالهيات فان اعترف وتاب واستعد للتكفير عن ذنبه ، ولمراضاة رئيسه وقصارى الكلام اذا « تحسنت حالته » فيمكنه ان ينال الحلّة على خطاياه من معلم الاعتراف الاعتيادي . ومن ثمّ يستطيع ان يتقرب من مناولة القربان المقدس وان يكن موسوماً بسمة الرباط عن الالهيات .

ومن البديهي ان امر الحكم « بتحسن حالة » الانسان التائب ، وبامر تكفيره ، والظروف التي يجب ان يتمّ فيها ، انما هو منوط بالكاهن الذي يعرفه .

م . ي

اهمّ حوادث الشرق في شهر

١٥ نيسان — ١٥ ايار

للاب لويس معلوف اليسوعي

١٥ كُشفت بئر غزيرة الزيت في شرقي الاهواز من اعمال ايران يبلغ ما تخرجه من الزيت في اليوم الواحد ٢٠٠،٠٠٠ غالون – امضت حكومة افغانستان وحكومة السوفيات الروسية اتفاقًا على تسيير الطيارات بين كابُل وتشقند

١٦ : اعلنت اللجنة المؤلفة في الاستانة لمكافحة داء السل في نشرة رسمية لها ان معدل الوفيات بهذا الداء في الاستانة يزيد على عشرة آلاف في السنة وان معدل السكان المصابين به خمسة او اكثر في المائة

١٧ : اشتد المرض على البطريرك المسكوني باسيليوس ودبّ الخلاف بين المطارنة على مسألة خلفه ووقعت منازعات بوجه لما بين الذين يطمحون الى الكرسي البطريركي – وصلت اختا ملك الافغان الى بومباي سافرتين ولابستين احدث الازياء الباريسية · فاستنتج القوم من ذلك ابطال تحجب النساء في بلاد الافغان قريبًا

١٨ : أُلقي القبض في الاستانة على ربان باخرة بريطانية بدعوى انه ضُبط وهو يهرب ذهبًا

١٩ : تقام في شرقي الاردن عدة تظاهرات ضد المعاهدة التي عقدت بين انكلترة وحكومة تلك البلاد

٢٠ : ترتفع اسعار الطحين كثيرًا في سورية ولبنان بسبب الجراد وانقطاع المطر

٢١ : باشر الملترمون تعمير منازل راشيا المهدمة

٢٢ : دخل مبشر بروتستنتي الجامع الازهر في القاهرة ووزع على الطلبة رسائل تطعن في النبي والدين الاسلامي · فهاج الطلبة عليه وعلى من كان معه من السائحين الاجانب ورأى ولاة الامور ابعاده من مصر

٢٣ : اقام المسلمون تظاهرات شتى في مدن فلسطين احتجاجًا على المؤتمر التبشيري البروتستنتي تحولت في آخر الامر الى تظاهرات ضد المسيحيين اجمالًا

٢٤ : ظهر الجراد على الحدود اللبنانية – حدث زلزال شديد في قورنثية دمر نحو ٢٠٠٠ منزل وقتل فيه زهاء الخمسين شخصًا وأصبح نحو ١٩،٠٠٠ من السكان بلا مأوى – عين اللورد بلومر المفوض السامي البريطاني في فلسطين مفوضًا ساميًا في شرقي الاردن – هجم الجراد بكثرة على صعيد مصر

٢٥ : انتخب الخوري الاسقفي يوحنا الحاج مطرانًا على ابرشية دمشق خلفًا للمثلث الرحمات المطران بشارة الشمالي

٢٦ : انتهت الانتخابات النيابية في دولة سورية – عثر مسيو دونان في جبيل على عدد كبير من التحف الاثرية القيمة يرتقي عهدها الى ٢٥٠٠ او ٣٠٠٠ سنة قبل المسيح وهي محفوظة بحالة حسنة

٢٧ : بعث الدمشقيون الى وزير الخارجية الفرنسية والمفوض السامي ببرقيات يشكرون لها فيها اطلاق رجال السلطة لهم حرية الانتخابات تامة – رجع الشاه الى طهران بعد ما اعاد السكينة الى نصابها في لورستان واخضع القبائل التي تمردت

٢٨ : كانت الحكومة الانكليزية في قبرس تريد ان تقيم عدة احتفالات بعرض اليوبيل الخمسيني لتسلط الانكليز على تلك الجزيرة فعدلت عنها لان الاروام رفضوا الاشتراك فيها

٢٩ : ابلغت الحكومة البريطانية الى الحكومة المصرية مذكرة انذار تحتج فيه على مشروع قانون الاجتماعات والتظاهرات وفيه تطلب : ١ً ان تسحب الحكومة المصرية ذلك المشروع من البرلمان . ٢ً ان تتعهد بان لا يصدر هذا القانون فيما بعد

٣٠ : قدم عمر بك بيهم نائب بيروت الى المجلس النيابي اقتراحاً بان ترد قضايا الاوقاف التي لها علاقة بالمسلمين الى المحاكم الشرعية وكان الاتراك قد شاؤوا ان تنظر فيها المحاكم العادية

-

١ : اجابت الحكومة المصرية على انذار انكلترة ان مجلس الشيوخ قرر ان لا يستمر على النظر في مشروع قانون الاجتماعات والتظاهرات وذلك بناء على طلب حكومة الملك فؤاد . فاتخذت الحكومة الانكليزية علماً بذلك معتبرةً ان الحكومة المصرية ستعنى بتجنب كل ما يعيد الخلاف الذي افضى الى تلك الازمة ، وصلتهُ انه اذا اعيد هذا المشروع او اذا قدمت مشروعات اخرى تتضمن مظاهر تراها الحكومة البريطانية خطرة تضطر الى التدخل ثانية لتمنعها ان تصير قوانين

٢ : برح ملك الافغان وعقيلته عاصمة بولونية الى موسكو

٣ : حدث زلزال شديد في كوتاهية فقتل عدة اشخاص وكانت الخسارة المادية كبيرة

٤ : وصل الى فلسطين مسيو منروماتي الذي باع من شركة انكليزية امتيازه في انارة مدينة القدس ومد خطوط للترامواي الكهربائي فيها – اجمعت الصحف المصرية على تهنئة الوزارة بانتهاء الازمة واثنت على ما ابدته الحكومة البريطانية من التساهل وروح الولاء – ظهر الجراد في جزيرة قبرس – نشرت مجلة «اعمال الكرسي الرسولي» قراراً من مجمع شؤون الكنيسة الشرقية بعيد صاحب الغبطة السيد بولس بطرس ترزيان الثالث عشر بطريرك الارمن الى مسلك التمتع بحقوق وظيفته وسلطته

٥ : اقام «الاتحاد المصري» النسائي حفلة عظيمة لذكرى مرور عشرين عاماً على وفاة قاسم امين اول داع الى سفور المرأة المصرية

٦ : جرى الاحتفال في رومية بافتتاح مجمع الطائفة الارمنية – تقدم بعض الماليين

والمهندسين الى الحكومة التركية بمشروع جسر كبير فوق البوسفور يصل بين الشاطئين الاوربي والاسيوي .

٧ : اصدرت محكمة الاستئناف في حلب على حكمها في قضية ارث غزالة الذي كانت محكمة التمييز قد نقضته ، فأيدت حكمها الاول وقضت بموجب الشريعة البيزنطية التي تخول ابناء الاخت حق الوراثة مثل ابناء الاخ – طلبت حكومة اليونان الى موسوليني التوسط في انقرة لتصفية المسائل المختلف عليها بين تركية واليونان لاجل التمكن بعد ذلك من توقيع ميثاق بين الدول الثلاث

٨ : قبضت الحكومة المصرية على ٢١ شيوعياً وهي تبذل جهوداً عظيماً في مكافحة الشيوعيَّة

٩ : نُشرت تفاصيل رسمية بشأن المرفأ الذي قررت حكومة فلسطين بناءه في حيفا

١٠ : اقيمت الاحتفالات في عدة مدن في بلاد العجم ابتهاجاً بالغاء الامتيازات الاجنبية

١١ : عقدت الحكومة التركية مع شركة سويدية اتفاقاً تمد الشركة بموجبه خطوطاً تلفونية بين انقرة واهم المدن التركية

١٢ : بعد ان الغت حكومة العجم الامتيازات الاجنبية عقدت مع انكلترة وفرنسة معاهدات تجارية اقتصادية تتناول خاصة بالتعريفة الجمركية – افتتح في كولونية معرض الصحافة الدولي وقد اوفد ارباب الصحف المصرية من يمثلهم فيه

١٣ : كانت جريدة «الوطن» البيروتية قد نشرت كلام طعن بحق صاحب النيافة السيد القاصد الرسولي فبعث صاحب الغبطة بطريرك الطائفة المارونية الى ممثل الحبر الاعظم برسالة يشجب فيها كاتب ذلك المقال وموحيه ويعرب للسيد القاصد عن عواطف شكره واكرامه ويثني على درايته وحكمته

١٤ : حدثت قلاقل جديدة في اليمن – عقد مندوبو الغرف التجارية في لبنان وسورية عدة اجتماعات للاحتجاج على فداحة الرسوم الجمركية والنظر في كيفية تخفيفها – غرقت في الخليج الفارسي سفينة كانت تنقل فريقاً من الحجاج فهلك ٧٠ شخصاً من ركابها

١٥ : اهدى ملك ايطالية ، بناءً على طلب البرنس امبرتو ولي عهده بعد زيارته الاراضي المقدسة ، الوشاح الاكبر من وسام تاج ايطالية الى صاحب الغبطة السيد برلاسينا البطريرك اللاتيني في القدس الشريف – حصلت في مركز بني مزار (مصر) عدة اصابات بالطاعون الدملي وقد توفي ثلاثة من المصابين – رفع رؤساء الرهبانيات المارونية المأمون الى مقام السيد القاصد الرسولي عريضة احتجاج على ما كتبته جريدة الوطن ضد الزيارة الرسولية – قررت الحكومة اللبنانية اعتبار رأس السنة الهجرية عيداً رسمياً تقفل فيه دوائر الحكومة – وصل ملك الافغان وعقيلته الى سباستوبول